QAYINI

MUKHTASAR DURR AL-
THAMIN

32101 074488956

2272
83748
.366

2272.83748.366
al-Qāyinī
Mukhtasar Durr al-thamīn
fī ma'rifat usūl al-dīn

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

OCT 3 JUN 16 70

JUN 15 2013

al-Qāyinī, Muḥammad al-Fāḍil
Mukhtaṣar Durr al-thamīn

مختصر در الثمين

في معرفة اصول الدين

من تصنيف الحكيم الالمعي والعالم الرباني اعلم العلماء العاملين حجة الاسلام
والمسلمين اية الله في العالمين شيخنا

الشيخ محمد القاينى
المعروف بالفاضل
دام ظله العام على كافة الانام

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ثمن النسخة دينار واحد

طبع في النجف الاشرف في مطبعة الآداب
في سنة ١٣٨١ هـ

2272
.83748
.366

باسمه العزيز

فهرس مختصر در الثمين

الاول فى مقدمات ثلث في ان الفقه الا كبر هو معرفة اصول دين الاسلام وان الاجتهاد المطلق متوقف على علم الكلام وفى عدم كفاية التقليد في اصول الدين وفى وجوب معرفة الصانع تعالى

الثاني في اثبات الصانع تعالى بالفطرة وبالآيات الآفاق والانفسى وصرف الوجود

الثالث فى اثبات توحيد الخالق تعالى بعدم مخبر عن غيره وبيرهان التمانع ودليل الحكماء وفي كفاية العرفان الاجمالى وعدم امكان معرفة كنه الذات وفى ان التكلم في ذات الله منهى وفى بطلان مقالة فلاسفة الطبيعيين

الرابع فى النبوة وفى يوم تولد خاتم النبيين ومعراجه ومبعثه ووفاته ونسبه واثبات نبوته بمعجزاته وتعريف المعجزة وباخبار الانبياء السابقين

الخامس فى اثبات المعاد الجسمانى وابطال القول بالمعاد الروحانى ودفع ما يورد على المعاد الجسمانى والتنبيه على امور

السادس فى الامامة وفى اسماء الائمة الاثنى عشر ومواليدهم ووفياتهم وموضع دفنهم عليهم السلام وفي سبب اخفاء الامام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه وفي دفع استبعاد بقائه

السابع في عدالة البارى تعالى وفى بطلان القول بزيادة الصفات على الذات وفى بطلان القول بعدم الحسن والقبح العقليين وفي بطلان القول بالجبر واثبات الاختيار

الثامن في كمية فروع الدين وفى الاشارة الى بعض حكم تشريعها

هذه صورة الاجازة والشهادة التي كتبها حضرة حجة الاسلام والمسلمين آية الله السيد ابو الحسن الاصفهانى قدس سره الى سماحة حجة الاسلام والمسلمين آية الله الشيخ محمد القاينى الشهير بالفاضل مد ظله العالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين مفضل العلماء العاملين وجاعلهم ورثة الانبياء وخلفاء الاوصياء ومدادهم افضل من دماء الشهداء والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين المعصومين واللعنة الدائمة على اعدائهم اجمعين الى يوم الدين وبعد فان جناب العالم العامل عماد العلماء العاملين وسناد الفقهاء الراشدين جامع المعقول والمنقول حاوى الفروع والاصول علم الاعلام ركن الاسلام الشيخ الثقة الجليل السند والركن الامين المعتمد الشيخ محمد القايني المعروف بالفاضل دامت بركاته قد صرف عمره الشريف خصوصا فى الارض الغرى في تحصيل العلوم الشرعية وحضر لدى الاعلام وجد واجتهد ووجد ما هو المراد وبلغ درجة الاجتهاد والاستنباط فلله تعالى دره وعليه سبحانه اجره وارجو من جنابه ان لا ينسانى من صالح الدعاء كما انى انشاء الله لا انساه

الاحقر ابو الحسن الموسوى
الاصفهانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين مفضل العلماء العاملين وجاعلهم ورثة الأنبياء وخلفاء الله في أرضه وعباده فضل
الشهداء والصديقين والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين المعصومين والسنة الله الراشدين
أجمعين إلى يوم الدين وبعد فإن خير العالم وأفضل من دعا إلى العلم والعاملين وسناد الفقهاء الراشدين جامع
المعقول والمنقول حاوي الفروع والأصول علم الأعلام ركن الإسلام شيخ الثقة المجتهدين السند والمرجع
المحدثين العمدة الشيخ محمد الكاظم المعروف بالخراساني دامت بركاته تشرف عمر الشريف خصوصاً في أيام
الغربة في تحصيل العلوم الشرعية وحضر لدى الأعلام وجد وجهد ووجد ما هو المراد وبلغ درجة
الاجتهاد وأذن له بالاستنباط فلله تعالى دره وعليه بكاته وجهه وأرجو في حقه أن الإسلام يأتي في صالح
الدعاء كما في أثناء الإنشاء

الأحقر أبو الحسن الموسوي
الإصفهاني

هذه صورة الاجازة والشهادة التي كتبها حضرة حجة الاسلام والمسلمين آية الله السيد ميرزا آغا الشيرازى قدس سره لسماحة حجة الاسلام والمسلمين آية الله الشيخ محمد القابنى الشهير بالفاضل مد ظله العالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين مفضل العلماء العاملين وجاعلهم ورثة الانبياء وخلفاء الاوصياء ومدادهم افضل من دماء الشهداء والصلوة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين المعصومين واللعنة الدائمة على اعدائهم اجمعين الى يوم الدين وبعد فلا يخفى ان الشيخ الجليل العالم النبيل العادل التقى عمـــدة المحققين وصفوة المجتهدين الشيخ محمد القابني المعروف بالفاضل دامت بركاته قد صرف عمره الشريف خصوصاً فى الارض الغرى فى تحصيل العلوم الشرعية وحضر لدى الاعلام وجدو اجتهد ووجد ما هو المراد وبلغ درجة الاجتهاد والاستنباط فلله تعالى دره وعليه سبحانه اجره وارجو من جنابه ان لا ينسانى عن صالح الدعاء كما انى انشاء الله لا انساه الاحقر الجانى ابراهيم الحسينى الشيرازى

الشهير بالميرزا اقا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين مفضل العلماء على العالمين وجاعل ورثة الأنبياء وخلفاء الله في أرضه وعباده فضل مدادهم

على دماء الشهداء والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين المعصومين واللعنة الدائمة

على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين وبعد فلا يخفى أن الشيخ الجليل العالم النبيل العادل التقي عمدة

المحققين وصفوة المجتهدين الشيخ محمد الفائني المعروف بالفاضي دامت بركاته قد صرف عمره الشريف

خصوصاً في العارض الغرر في تحصيل العلوم الشرعية وحضر لدى الأعلام وجد واجتهد ووجدنا هو المراد بلغ

درجة الاجتهاد والاستنباط فلله تعالى دره وعليه سبحانه أجره وأرجو في جنابه أن لا يخلني عن

صالح الدعاء كما أني أنشد له لا أنساه الأحقر الجاني إبراهيم الحسيني الشيرازي الشهير بالميرزا القاجاري

مختصر در الثمين

في معرفة اصول الدين

من تصنيف الحكيم الالهي والعالم الرباني اعلم العلماء العاملين حجة الاسلام
والمسلمين آية الله شيخنا

الشيخ محمد القايني

المعروف بالفاضل دام ظله العام على كافة الانام

طبع في النجف الاشرف في مطبعة الآداب في سنة ١٣٨١

وله الحمد يقول الراجي الى الله الغني محمد بن عبد الكريم القابني الاسدي عفى الله عن جرائمها هذا الكتاب الموسوم بمختصر در الثمين فى معرفة اصول الدين كتبته تذكرة لمن تبصر وتبصرة لمن تذكر وأرجو من لطفه وفضله أن ينفعني به وكافة اخواني المؤمنين ويجعله ذخيرة لي ولهم يوم الدين انه أرحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دل على وجوب وجوده صرف الوجود وافتقار الممكنات وعلى جماله وكماله وقدرته وعلمه احكام المصنوعات المنزه بجلال قدسه عن مشابهة الجسمانيات نحمده حمداً يملأ اقطار الأرض والسموات ونشكره على نعمه المتظاهرات المتواترات ونستعينه على دفع البأساء وكشف الضراء في جميع الحالات ثم الصلوة على نبيه محمد صلى الله عليه وآله صاحب الآيات والبينات المكمل بشريعته سائر الكمالات ثم على آله الهادين من الشبه والضلالات الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من الزلات صلوة تتعاقب عليهم كتعاقب الآنات .

وبعد ـ فيقول محمد بن عبد الكريم القابني المدعو بالفاضل عفى الله عن جرائمها ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق العالم عبثاً فيكون من اللاعبين بل لحكمة متحققة للناظرين وقد صرح على تلك الحكمة بالتعيين فقال : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فوجب على كل من هو فى زمرة العاقلين إجابة رب العالمين ولما كان ذلك متعذراً بدون معرفته باليقين وجب على كل عارف مكلف تنبيه الغافلين وإرشاد الضالين بتقرير مقدمات ذوات افهام وتبيين فمن تلك المقدمات هذا المختصر وقد كتبت في سالف الزمان كتابا فى اصول العقايد بلسان الفارسي قبل أربعين سنة وباحشاه مرات متعددة فى هذه المدة حيث كان دأبنا

وعادتنا في كل عام على تدريس مبحث منه للطلاب في شهر رمضان وليلتي الخميس والجمعة في دور السنة وسميته بدر الثمين في معرفة اصول الدين وكنت قاصداً لطبعه ولكن عاقتني عن طبعه عوائق الحدثان ومصادمات دهر الخوّان إذ كان صاداً للمرء عن بلوغ إرادته وحائلا بينه وبين طلبته وقد اتفق الاجتماع والمذاكرة مع بعض الفضلاء العظام والأحباء الأخيار مع تشويش الأفكار فالتمسوا مني إملاء رسالة تحتوي على الافصاح عما فرضه الله من الاعتقادات محرراً ذلك بأجلى إشارة وأحلى عبارة مقتصراً فيها على ما يروي الغلة (١) ويشفي العلة ويحصل به مراد الطالب ومناخ الراكب وبغية السائل وري الناهل (٢) فأجبت ملتمسه مع قلة البضاعة وكثرة الابتلاآت المنافية للاستطاعة وها أنا قد عزمت على ذلك فأختصر ذلك الكتاب وأترجمه بالعربي متوكلا على الله سبحانه وتعالى ومعتمداً عليه وراجياً منه في أن يوفقني لاتمام هذه الرسالة ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وينفعني بها يوم لا ينفع فيه إلا من أتى الله بقلب سليم وسميتها بمختصر در الثمين في معرفة اصول الدين ورتبتها على مقدمات ثلاث ومقصدين وتذييل فنقول

اما المقدمة الاولى

فهي ان الفقه فقهان فقه أكبر وهو اصول الدين وفقه أصغر وهو فروع الدين ووجه أكبرية اصول الدين هو انه ليس في أحكام الله تعالى أكبر وأعظم من معرفة العقايد لأن معرفة العقايد أول التكاليف كما روي عن سيد الموحدين أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حيث قالوا ان أول

(١) والغلة بالضم الحرارة . (٢) والناهل العطشان .

الدين معرفة الله وكمال المعرفة التصديق به ـ الحديث ، فالانسان قبل أن يتعلم الواجبات الدينية الفرعية يجب عليه أن يتعلم اصول الدين وإلا لانصح أعماله العبادية لأن صحة الأعمال العبادية متوقفة على معرفة اصول الدين ولذا قال أهل المعقول ان علم الكلام من حيث الموضوع والغاية متقدم من جهة الشرافة على جميع العلوم حيث يبحث فيه عن أحوال المبدأ والمعاد ودفع الشبهات عنهما بل قال الشهيد الثاني والمحقق القمي وصاحب الفصول وغيرهم من الفقهاء قدس الله أسرارهم ان الاجتهاد المطلق متوقف على علم الكلام حيث قال الشهيد الثاني ويتحقق الاجتهاد بمعرفة المقدمات الست وهي الكلام والاصول والنحو والتصريف ولغة العرب وشرائط الأدلة يعني المنطق والاصول الأربعة وهي الكتاب والسنة والاجماع ودليل العقل والمعتبر من الكلام ما يعرف به الله تعالى وما يلزمه من صفات الجلال والاكرام وعدله وحكمته ونبوة نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وعصمته وإمامة الأئمة عليهم السلام وعصمتهم ليحصل الوثوق بخبرهم وتتحقق الحجة بتعلم المعتبر من علم الكلام والتصديق بما جاء به النبي (ص) من أحوال الدنيا والآخرة كل ذلك بالدليل التفصيلي الخ .

المقدمة الثانية

هي انه لا يكتفي في تحصيل اصول الدين بالظن والتقليد بل لابد من تحصيل اصول الدين بالبرهان والدليل لاجماع العلماء والخبر المزبور لعدم صدق المعرفة حقيقة على الظن والتقليد ويأتي توضيح ذلك في ذيل مبحث المعاد في التنبيه الثاني انشاء الله تعالى .

المقدمة الثالثة

هي انه يجب معرفة صانع العالم لوجهين عقليين (الأول) لقاعدة وجوب دفع الخوف والضرر المحتمل الاخروي بعد اليقين بوجود موجد للعالم وذلك من جهة ان الانسان بعد أن رأى اختلاف المذاهب والملل بالنسبة الى وجوده وان فرقة قالت بالأقانيم الثلثة وفرقة باليزدان والاهرمن وفرقة بوحدة واجب الوجود وفرقة بالطبيعة والأجرام الصغار المبثوثة يحتمل صحة واحد من هذه الآراء وبعد هذا الاحتمال يحصل له الخوف والألم النفساني بحيث لو لم يحصل يحتمل وقوعه في الضرر البدني والخطر العقابي والعقل يحكم بوجوب دفع الخوف والألم النفساني حيث ان العقل على فرض عدم حكمه بوجوب دفع الضرر المحتمل الدنيوي إلا انه يحكم بوجوب الخطر الاخروي فالعقل يحكم بوجوب دفع الخوف فيجب تحصيل المعرفة لدفعه ، وبالجملة ان المعرفة دافعة للخوف الحاصل للانسان من اختلاف المذاهب ودفع الخوف واجب بحكم العقل لأنه ألم نفساني يمكن دفعه فيحكم العقل بوجوب دفعه فيجب دفعه فيجب تحصيل المعرفة لدفعه (الثاني) لقاعدة وجوب شكر المنعم حيث ان موجد العالم أعطى للانسان وخلق له النعم الظاهرية من الوجود ومتاع الحيوة الدنيا والنعم الباطنية من العقل وقواه وجنوده بحيث يكون إيجادها بالفطرة والجبلة خارجا عن قدرة البشر وشكر المعطي والمنعم واجب لأن تارك الشكر والتعظيم يستحق الذم عند العقلاء ولا يمكن شكره وتعظيمه بحيث كان مناسباً لشأنه إلا بعد معرفته فيجب معرفته بالوجوب الاطلاقي فيجب تحصيل مقدماته وكذا بقية معارف الخمس والباري تعالى منعم فيجب شكره فيجب معرفته فما كان وجوبه إطلاقياً يجب معرفته وتحصيل مقدماته دون

ما كان وجوبه مشروطاً بالعلم به كبعض تفاصيل القيمة بل يعتقد بما هو الواقع ودون ما شك في انه من أي القسمين . واما المقصدان

«فالمقصد الاول»

فى اصول دين الاسلام

التي يكون الاعتقاد بها موجباً لطهارة البدن وحل الذبيحة وجواز تزويج المسلمة وغيرها من أحكام الاسلام واصول الاسلام ثلاثة : (الأول) معرفة الله وانه يجب على كل مكلف معرفة الله سبحانه وتعالى والدليل على وجود الصانع تعالى [أولا] الفطرة والارتكاز لأن وجود مبده المبادي عز وجل يكون من أظهر الموجودات حيث ترى ان الناس يتوكلون بحسب الفطرة والجبلة على الله ويتوجهون توجهاً غريزياً الى مسبب الأسباب ومسهل الامور الصعاب وإن لم يتفطنوا لذلك كما يدل على ان وجوده تبارك وتعالى فطري للانسان قول الله تعالى في سورة الروم (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها) وقول النبي صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه يعني كل مولود يولد على فطرة التوحيد بأن الله تعالى خالقه حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وقول الله تعالى في سورة الاسراء : (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) وما في تفسير مولينا العسكري عليه السلام وتوحيد الصدوق قدس سره قال رجل للصادق عليه السلام : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله دلني على الله ما هو فقد أكثر عليّ المجادلون وحيروني فقال يا عبد الله هل ركبت سفينة قط قال بلى قال فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك قال بلى قال فهل تعلق

في معرفة الله تعالى

في إثبات وجود الصانع تعالى بالفطرة

قلبك هناك ان شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك قال بلى قال الصادق عليه السلام فذاك الشيء هو الله القادر على الانجاء حين لا منجي وعلى الاغاثة حين لا مغيث ـ انتهى . ولذلك اذا رأى الانسان على سبيل الفجأة حيوانا غريباً أو فعلا من أفعال الله خارقا للعادة عجيباً انطلق لسانه بالمعرفة طبعاً فقال سبحان الله ولكن أفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان وتحصيل الاطمينان كماً وكيفاً وشدة وضعفاً سرعة وبطئوا حالا وعلماً وإن كان أصل المعرفة فطريا اما ضروري أو يهتدي اليه بأدنى تنبيه فلكل طريقة هداه الله عز وجل اليها إن كان من أهل الهداية والطرق الى الله بعدد أنفاس الخلايق وهم درجات عند الله (يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات) فوجود الخالق تعالى فطري للبشر حيث ان الانسان اذا تفكر بأدنى تفكر يحصل له العلم بوجود الواجب تعالى وان الانسان ممكن لا وجود له بدون العلة وان الله سبحانه وتعالى خالقه بالفطرة والجبلة كما يدل أيضاً على ان وجود الخالق تعالى فطري للبشر ما روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن أبي هاشم الجعفري قال سألت أبا جعفر الثاني يعني الجواد عليه السلام ما معنى الواحد فقال عليه السلام إجماع الألسن عليه بالوحدانية كقوله ولئن سئلتهم من خلقهم ليقولن الله انتهى حيث معناه انه كما ان الغرايز الانسانية مجبولة بحسب الفطرة الاولى على الاعتراف بأن الله واحد لا شريك له ولولا الأغراض النفسانية لما اختلف فيه اثنان ولهذا لما سئلهم في عالم الذر ألست بربكم قالوا بلى بالاتفاق كذلك في الفطرة الثانية لو خلوا وطبايعهم ولم يكن لهم غرض آخر وسئلوا من الخالق إياهم ليقولن الله ،

إن قلت إن كان وجود المبدء تعالى فطريا للبشر وكان أظهر الموجودات وأجلاها يقتضي هذا أن يكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الأفهام وأسهلها

على العقول والحال انا نرى الأمر بالضد من ذلك فلا بد بيان السبب فيه .

قلت مايقصرعن فهمه عقولنا له سببان (أحدهما) خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك كحقيقة وجود سيد الموحدين أمير المؤمنين صلوات الله عليه كما قال النبي صلى الله عليه وآله يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت وما عرفني إلا الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا . والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره بل لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره ويغلب عليه نور الشمس اذا أشرق فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع ابصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لا يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصاير والأبصار بظهوره ولنعم ما قال الحكيم الالهي الحاج ملا هادي السبزواري قدس سره في المقام يا من هو اختفى لفرط نوره الظاهر الباطن في ظهوره فضعف أفهام الناس وعقولهم وعدم البيان لهم وانسهم بالمحسوسات والانهماك في الشهوات صار سبباً لسد سبيل الاستضائة بأنوار المعرفة واما من قويت بصيرته ولم يضعف قوته فانه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله وأفعاله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع فلا يكون نظره مجاوزاً له إلى غيره كما روي عن سيد الموحدين أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال ما رأيت

شيئاً إلا ورأيت الله قبله .

في إثبات وجود الصانع تعالى بالآيات الآفاقي

وثانياً على فرض عدم كون وجود الواجب تعالى فطريا للبشر نستدل على وجوده بالآيات الآفاقي وبرهان المتوسطين على مسلك المتكلمين القائلين بعدم عالم العقول والمجرد المحض غير المبدء تعالى وهو ان العالم أي ماسوى الله حادث ذاتاً وزماناً لأنه جسم وكل جسم لا يخلو من الحركة والسكون وهما حادثان لأن الحركة عبارة عن الحصول الأول في المكان الثاني فيكون مسبوقا بالمكان الأول والسكون عبارة عن الحصول الثاني في المكان الأول فيكون مسبوقا بالحصول الأول وما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث والحادث يحتاج إلى الموجد والعلة ويدل على ذلك ما روى الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام انه دخل عليه فقال له يابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم فقال انك لم تكن ثم كنت وقد علمت انك لم تكوّن نفسك ولا كوّنك من هو مثلك يعني ان العالم مركب منك ومن غيرك وأجزائه مرتبطة بعضها ببعض كأن الكل شخص واحد ووجودك مسبوق بالعدم فأنت حادث فتمام العالم حادث بالحدوث الذاتي المتأخر عن العدم والحدوث الزماني المتخلف عن المؤثر حيث لا يحصل من حكم العقل باستحالة تخلف الأثر عن المؤثر القطع بعدم الحدوث الزماني في مقابل قيام الاجماع من جميع الشرايع على التخلف والحدوث الزماني وانه كان الله ولم يكن معه شيء لأن ذات العلة قديم ولكن وصف العلية والارادة أمر حادث فالعالم حادث بالحدوث الذاتي والزماني معاً والحادث يحتاج إلى الموجد والعلة

في إثبات وجود الصانع تعالى بالآيات الانفسي

وثالثاً نستدل على وجوده بالآيات الانفسي ، تارة على القول بكون النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء كما سلك اليه جماعة من الحكماء منهم فريد الدين وصدر المتألهين الشيرازي قدس سرهما وحاصل ذلك هو ان النفس

في أول الأمر قوة محضة وتكون في الحركة والانتقال من مقام الجمادية والطينية إلى مقام النباتية ومن مقام النباتية إلى مرتبة الحيوانية ومن الحيوانية إلى مقام التجوهر والانسانية فالنفس متحركة والمتحرك لابد وأن ينتهي إلى محرك غير متحرك فمن عرف ان نفسه متحركة والمتحرك لابد وأن ينتهي إلى محرك غير متحرك فقد عرف ربه قال جماعة من الحكماء ان قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) إشارة إلى هـذا المعنى روى الصدوق قدس سره في كتاب التوحيد عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام انه سئل وغير الخالق الجليل خالق قال إن الله تبارك وتعالى قال تبارك الله أحسن الخالقين وقد أخبر ان في عباده خالقين وغير خالقين منهم عيسى بن مريم خلق من الطين كهيئة الطير باذن الله والسامري خلق لهم عجلا جسداً له خوار ـ إنتهى ، ووجه كونه تعالى أعلى من سائر الخالقين هو أنه يكون التضاد بين الروح المدرك للكليات وبين البدن حيث أن الروح أمر نوراني لطيف والجسم أمر ظلماني كثيف والضم والتركيب بينهما من أعجب الأشياء ولذا لما سئل بعض العرفاء بما عرفت الله قال بجمعه بين الضدين .

وأخرى على قول حكماء المشائين من كون النفس روحانية الحدوث والبقاء معا كما هو الحق وظاهر الشريعة حيث وردت أخبار متواترة من الأئمة الأطهار عليهم السلام تكون دالة على أن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ، وحاصل ذلك هو إن من عرف إن نفسه لا تكون داخلة في البدن ولا خارجة عنه بل يكون لها تعلق التدبير والتصرف بالبدن كما يدل على

هذا المعنى ما في خبر المفضل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال ان الأرواح لا تمازج البدن ولا تواكله إنما هي كالكل البدن محيطة به ـ إنتهى ، فقد عرف ربه وإن الرب تعالى لا يكون داخلا في الاشياء بالمازجة ولا خارجا عنها بالبينونة العزلية بل يكون محيطاً بها بالاحاطة التامة ولعل قول خاتم النبيين صلى الله عليه وآله أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه وكذا قول سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه إشارة إلى هذا المعنى ولا ينافي ذلك ماتقدم من الآية في المسلك الاول لأن المراد من قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر على ما روى علي بن ابراهيم القمي قدس سره عن الامام الباقر عليه السلام يكون هو نفخ الروح في الانسان أي أنشأناه خلقاً آخر لايشبه هذا الخلق وقد روى العياشي قدس سره عن الامام الصادق عليه السلام انه سئل عن الروح فقال هي من قدرته من الملكوت ـ انتهى ، فيكون للانسان علاوة عن الروح البخاري اللطيف المنبعث من القلب الروح الملكوتي المدرك للكليات فالنفس تكون روحانية الحدوث والبقاء معاً ولا تكون جسمانية الحدوث حيث يكون التضاد بين الكثرة والوحدة لأن الكثير فيه اقتضاء الكثرة لا الوحدة فكما لا يمكن صيرورة المجرد مادياً كذلك لا يمكن صيرورة المادي مجرداً .

إن قلت إن كانت روحانية الحدوث لابد أن يكون لها الادراك من أول أوان تعلقها بالبدن والحال انه لا إدراك لها من الاول .

قلت عدم إدراكها حين تعلقها بالبدن يكون بواسطة عدم كمال القوى والمشاعر كحال الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل والقوة بواسطة ضعف القوى والمشاعر ولذا كان الادراك للائمة عليهم السلام من حين تولدهم بل قبل تولدهم لكمال القوى والمشاعر فيهم لتركبهم من العناصر على وجه التعادل فالروح

أمر مجرد من حيث الحدوث والبقاء معاً فمن عرفه بالمعنى المتقدم فقد عرف ربه .

في إثبات وجود الصانع تعالى بصرف الوجود

ورابعاً نستشهد على وجود الواجب تعالى ببرهان الخواص والصديقين يعني نستدل بالوجود الغير المضاف الى شيء على وجوده كما أشار اليه فيلسوف الاسلام أبو نصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان الفارابي المشهور بالمعلم الثاني في فصوص الحكم بقوله لك أن تلحظ عالم الوجود المحض وتعلم انه لابد من وجود بالذات وتعلم كيف ينبغي أن يكون عليه الموجود بالذات فان اعتبرت عالم الوجود المحض فأنت نازل تعرف بالنزول انه ليس هذا ذاك أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد اه ، وهذا الوجه يكون من الشكل الأول الذي يكون بديهي الانتاج حاصله ان صرف الوجود يتأبى عن العدم لذاته وإلا يلزم اجتماع النقيضين وهو بديهي البطلان وكلما يتأبى عن العدم لذاته فهو واجب الوجود فصرف الوجود هو واجب الوجود .

إن قلت هذا الوجه يكون بنحو المصادرة من جهة ان وجود صرف وجود يتأبى عن العدم لذاته أول الكلام .

قلت نستكشف من مفهوم الوجود المعلوم البديهي وجود المنتزع عنه ولا يرفع اليد عن المعلوم بواسطة المجهول بل يثبت المجهول بالمعلوم لأن ما بالعرض ومفهوم الوجود لابد وأن ينتهي إلى ما بالذات ووجود المنتزع عنه فصرف الوجود هو واجب الوجود حيث ان صرف الوجود الذي لا أتم منه كلما فرضته عدماً وجدته ثابتاً فاذا نظرت فهو هو شهد الله أن لا إله إلا هو ويكون الاشارة إلى هذا المقام ما روي في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والاحسان كما يكون الاشارة إلى هذا المقام قول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح

يا من دل على ذاته بذاته وكما يكون الاشارة إلى هـذا المقام قول سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين أرواحنا وأرواح العالمين له الفداء في دعاء عرفة كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك عميت عين لا تراك وكما يكون الاشارة إلى هذا المقام قول علي بن الحسين سيد العابدين صلوات الله عليه في دعاء أبي حمزة الثمالي بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني اليك ولولا أنت لم أدر ما أنت اه وهـذا البرهان ليس بلمي ولا اني بل برزخ بينهما وإن كان يخطر بالذهن انه يشبه باللم .

في إثبات توحيد الخالق تعالى

والخالق تعالى واحد ، أولا من جهة ان كل من جاء من الأنبياء وأصحاب الكتب المنزلة إنما ادعى الاستناد إلى واحد استند اليه الآخر ولو كان في الوجود واجبان لكان يخبر مخبر من قبله بوجوده وحكمه وقـد أشار إلى ذلك سيد الموحدين أمير المؤمنين فيما أوصى ابنه الحسن عليهما السلام على ما روى السيد الشريف الرضي قدس سره في نهج البلاغة بقوله : واعلم انه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت صفاته وفعاله ولكنه إله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ذلك أحد ولا يحاجه وانه خالق كل شيء ، وقد روى محمد بن علي بن الحسين الملقب بالصدوق قدس سره في كتاب التوحيد عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : التوحيد نصف الدين واستنزلوا الرزق بالصدقة انتهى . والنصف الآخر من الدين هو الشهادة برسالة محمد بن عبد الله خاتم النبيين صلى الله عليه وآله الطاهرين ، فاسلام المسلم مركب من الشهادتين فالانسان إذا أقر

بالشهادتين بأن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، كان مسلماً ويدل على هذا المعنى ما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن سماعة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إخبرني عن الاسلام والايمان أهما مختلفان ؟ فقال : إن الايمان يشارك الاسلام والاسلام لا يشارك الايمان ، فقلت : فصفهما لي ، فقال : الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس والايمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام وما ظهر من العمل به والايمان أرفع من الاسلام بدرجة ان الايمان يشارك الاسلام في الظاهر والاسلام لا يشارك الايمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة .

في برهان التمانع

وثانياً لو كان في الوجود واجبا الوجود وأراد أحدهما إنزال المطر مثلا وأراد الآخر عدمه لزم فساد نظام الوجود وإلا فساد من الحكيم على الاطلاق محال فوجود إله آخر محال كما يومي إلى هذا المعنى قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وقوله : (وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) الآية كما هو حال ملوك الدنيا فهذا التدبير المحكم واتصاله وقوام بعضه ببعض يدل على صانع واحد .

وثالثاً لو كان في الوجود واجبا الوجود لزم إمكانهما حيث انهما يشتركان حينئذ في وجوب الوجود بناء على ان الأصل في دار التحقق هو الوجود كما هو الحق لا الماهية فحينئذ إن لم يكن الميز بينهما لم يحصل التعدد وإن كان بينهما الميز لزم تركب كل واحد منهما مما به الاشتراك ومما به الامتياز وكل مركب ممكن لاحتياجه إلى أجزائه فيكونان ممكنين هذا خلف .

وقد ذكرنا توضيح ما تقدم في إثبات الصانع تعالى من برهان المتوسطين

من الاستدلال بالآيات الآفاقي والأنفسي وبرهان الخواص والصديقين وتفصيل ما تقدم في إثبات توحيد الله تعالى من برهان التمانع ودليل الحكماء مع وجوه أخر في كتابنا الكبير والاطلاع عليها موكول على طبعه إنشاء الله تعالى ، وبالجملة يكفي في معرفة الله تعالى انه واحد أحد صمد أي السيد المتفوق في السودد الذي يقصد اليه الناس في حوائجهم وأمورهم كما روى الكليني قدس سره عن داود بن القاسم الجعفري قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلت فداك ما الصمد ؟ قال : السيد المصمود اليه في القليل والكثير انتهى ، لا شريك له ولا معبود سواه قديم أزلي دائم أبدي حي قادر عالم منزه عما يقتضي الحدوث من الجسمية والرؤية البصرية والاختصاص بمكان أو زمان أو جهة تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا لأنه ليس بداخل في العالم بل محيط بجميع العالم بالاحاطة التامة بل يكفي معرفة انه تعالى جامع لصفات الجمال والكمال أي عالم قادر حي أزلي أبدي منزه عن صفات النقص والجلال أي ليس بمركب ولا جسم ولا مرئي لا شريك له ولا معبود سواه كما يدل على كفاية هذا المقدار من المعرفة ما روى الكليني قدس سره عن الفتح بن يزيد عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته عن أدنى المعرفة فقال : الاقرار بأنه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير له وانه قديم مثبت غير فقيد وانه ليس كمثله شيء انتهى ، فيكفي معرفة انه تعالى جامع لصفات الجمال ومنزه عن صفات الجلال حيث يستحيل معرفة كنه ذاته لتناهي الممكن ومحدوديته من حيث الوجود والصفات بخلاف الواجب تعالى حيث انه غير محدود ولا تناهي له من حيث الوجود والصفات ويستحيل إحاطة المتناهي بغير المتناهي فما يحيط به الممكن ووقع عليه وهمه كان ممكن الوجود لا واجب الوجود فالواجب تعالى هو الذي لا يمكن أن يقع عليه وهم الممكن ولا يمكن للممكن الاحاطة به فما

في كفاية العرفان الاجمالي

في عدم امكان معرفة كنه الذات

وقع عليه وهم الممكن ليس بواجب الوجود كما روى الصدوق قدس سره في كتاب التوحيد عن الباقر عليه السلام قال : الله معناه المعبود الذي إله الخلق عن درك مائيته والاحاطة بكيفيته وقال في خبر آخر متى تفكر العبد في ماهية الباري وكيفيته إله فيه وتحير ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لأنه عز وجل خالق الصور فاذا نظر إلى خلقه ثبت له انه عز وجل خالقهم ومركب أرواحهم في أجسادهم ، وفي الخبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : لا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيء بل إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا انه ربنا بخلاف شيء من الأشياء وفي الكافي عن التميمي قال : سألت أبا جعفر ـ يعني الجواد عليه السلام ـ عن التوحيد فقلت: أتوهم شيئاً ، فقال : نعم غير معقول ولا محدود فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الأوهام إنما يتصور شيء غير معقول ولا محدود انتهى ، قوله عليه السلام : نعم غير معقول ولا محدود أي يصدق عليه مفهوم شيء وإن لم يكن شيئاً معقولا لغيره ولا محدوداً بحد ولا يشبهه شيء مما في المدارك والأوهام وذلك للفرق بين مفهوم الأمر وما صدق عليه فهو ليس بمفهوم الشيء ولا شيئاً من الأشياء وان صدق عليه انه شيء فلا يمكن تحديده كما روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن الصادق عليه السلام قال : إذا احتمل الحد احتمل الزيادة والنقصان وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقا اهـ ، فالمراد بمعرفة الله تعالى الاطلاع على نعوته وصفاته الجلالية والجمالية بقدر الطاقة البشرية واما الاطلاع على حقيقة الذات المقدسة فما لا مطمع فيه للملائكة المقربين والأنبياء المرسلين فضلا عن غيرهم وكفى في ذلك قول سيد البشر : ماعرفناك حق معرفتك، وفي الحديث : ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وان الملاء

الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم فلا تلتفت إلى من يزعم انه قد وصل إلى كنه الحقيقة المقدسة بل أحث التراب في فيه فقد ضل وغوى وكذب وافترى فان الأمر أرفع وأظهر من أن يتلوث بخواطر البشر وكلما تصوره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ وأقصى ما وصل اليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه من التدقيق انتهى ، بل الصفات التي نثبتها له سبحانه إنما هي على حسب أوهامنا وقدر أفهامنا فانا نعتقد اتصافه بأشرف طرفي النقيض بالنظر إلى عقولنا القاصرة وهو تعالى أرفع وأجل من جميع ما نصفه وفي كلام الامام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إشارة إلى هذا المعنى حيث قال : كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله تعالى زبانيتين فان ذلك كمالها ويتوهم ان عدمهما نقصان لمن لا يتصف بهما وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به انتهى كلامه صلوات الله عليه وسلامه ، وروي في الاحتجاج عن هشام انه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى ما هو فقال ع : هو شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولي شيء الى انه بحقيقة الشيئية غير انه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس (١) ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغير الأزمان الخبر والمراد بقوله بحقيقة الشيئية يعني بالشيئية الحقة الثابتة له في حد ذاته لأنه تعالى هو الذي يحق أن يقال له شيء أو موجود لكون وجوده بذاته ممتنع الانفكاك عنه وغيره تعالى في معرض العدم والفناء وليس وجودهم إلا من غيرهم ، وروى الصدوق قدس سره في كتاب التوحيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه سئل أيجوز أن يقال ان الله عز وجل شيء ؟ قال : نعم تخرجه من الحدين حد التعطيل وحد التشبيه

في أن التكلم في ذات الله منهي

(١) قوله عليه السلام : ولا يجس بالجيم أي لا يمس .

انتهى ، حد التعطيل هوعدم إثبات الوجودوالصفات الكمالية له تعالى وحدالتشبيه الحكم بالاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات بل نهى عن التكلم في ذات الله تعالى حيث روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن أبي بصير قال قال أبو جعفر عليه السلام : تكلموا في خلق الله ولا تكلموا في الله فان الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيراً ، وفي رواية أخرى عن حريز : تكلموا في كل شيء ولا تتكلموا في ذات الله ، وروى الحسين بن مياح عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من نظر فى الله كيف هو هلك ، وروى علي بن ابراهيم عن محمد بن مسلم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا محمد إن الناس لا يزال بهم المنطق حتى يتكلموا فى الله فاذا سمعتم ذلك فقولوا لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء ، وقال فخر الدين الطريحي قدس سره : وفى الحديث من تفكر فى ذات الله تزندق ، أي من تأمل في معرفة الذات تزندق لأنه طلب مالم يطلبه ولم يصل اليه نبي ولاوصي ولا ولي ، ومن هنا قال عز الدين عبد الحميد محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني المتوفى ببغداد فى سنة ستمائة وخمسة وخمسين :

فيك يا أعجوبة الكون غدا الفكر كليلا
أنت حيرت ذوي اللب وبلبلت العقولا
كلما قدم فكري فيك شبراً فرّ ميلا
ناكصاً يخبط فى عمياء لا تهدي السبيلا

في بطلان مقالة فلاسفة الطبيعيين

فقول ذيمقراطيس الحكيم اليونانى المتوفى قبل ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بأربعمائة وتسعين سنة أو بأربعمائة وسبعين سنة كما فى كتاب قاموس الأعلام أو بثلثمائةوواحد وستين سنة على قول غيره من أهل التاريخ من

أن موجد الموجودات هو الأجرام الصغار والمادة القديمة حيث قال : ان أصل العالم أجرام صغار صلبة مبثوثة في خلاء غير متناه ثم اتفق ان تلك الأجرام تصادمت على وجه خاص فحصل من تصادمها هذا العالم ، فهو وأتباعه جعلوا كون العالم بالبخت والاتفاق وأنكروا أن يكون له صانعاً باطل ، أولا من جهة ان بعض الأشياء الموجودة في هذا العالم يكون له الشكل والصورة والمقدار واللون وبعضها الآخر علاوة عن ذلك يكون له الحياة والقدرة والارادة والحواس الظاهرة والباطنة ولا يمكن استناد هذه الأشياء الى طبيعة عادمة الشعور الفاقدة للاختيار لأن الطبيعة والمادة الفاقدة للاختيار لا يصدر منها إلا فعل واحد فلا بد أن تستند هذه الأشياء الى موجد مختار عالم قادر حي مريد سميع بصير ، وبعبارة أخرى لا يمكن عقلا استناد الموجود المركب الى الفاعل الغير المختار حيث لا يمكن أن يصدر من الفاعل الغير المختار إلا الفعل الواحد لأن معطي الشيء لا يمكن أن يكون فاقداً له فلا بد أن يستند الموجود المركب الى الفاعل المختار المتصف بالأوصاف الجمالية أي موجد مختار عالم قادر حي مريد سميع بصير .

وثانياً على فرض وجود الشعور والادراك والاختيار للمادة والأجرام الصغار ان التصادم الاتفاقي أمر حادث والحادث يحتاج الى السبب فلا بد أن ينتهي التصادم الى مسبب الأسباب لأن الحادث يحتاج الى العلة ولا يمكن حصوله بدونها .

وثالثاً ان الجسم لا يخلو من الحركة والسكون وهما حادثان حيث ان الحركة عبارة عن الحصول الأول في المكان الثاني فيكون مسبوقا بالحصول الأول والسكون عبارة عن الحصول الثاني في المكان الاول فيكون مسبوقا بالحصول الاول فالاجرام الصغار حادثة لأن ما لا ينفك عن الحوادث فهو حادث والحادث يحتاج

إلى العلة فالأجرام الصغار المتحركة لا تكون صالحة للقدم .

ورابعاً ان الجسم ليس بأمر بسيط كما قال الحكيم الاشراقي بل امر مركب كما قال رئيس الحكماء ابن سينا البخاري فتلك الذرات والأجرام الصغار مركبة من الشكل واللون والمادة والصورة والصورة أمر حادث بالحس والوجدان لأن المادة تخلع صورة وتلبس صورة أخرى والحال ان القديم لا يجوز عليه التبدل لأن ما ثبت قدمه امتنع عدمه فالصورة أمر حادث والحادث يحتاج إلى المحدث والموجد

وخامساً ان المادة والاجرام الصغار ليست واحدة بل متعددة فان كان وجود العالم مستنداً إلى واحد منها يلزم الترجيح بلا مرجح وهو قبيح عقلا وإن كان مستنداً إلى الكل فان كان كل واحد علة تامة يلزم (أولا) تعدد القديم في العالم وقد مر في أدلة التوحيد بطلانه (وثانياً) يلزم اجتماع العلل المتعددة على المعلول الواحد وهو محال عقلا وإن كان كل واحد جزء العلة يلزم التركيب في ناحية العلة والتركيب والاحتياج يكون من علائم الحادث والممكن وقد ذكرنا توضيح هذه الوجوه في بطلان مقالة الطبيعي مع وجوه أخر في كتابنا الكبير والاطلاع عليها موكول على طبعه نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقني لطبعه .

والظاهر ان الحكيم اليوناني المزبور وقع في الاشتباه من حيث الخطأ في التطبيق حيث لا تجد أحداً إلا وهو يقر بأن له صانعاً وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره فالاختلاف في التعبير عن الصانع تعالى بين أفراد البشر إنما يكون من حيث الاسم ولأجل الخطأ في التطبيق حيث يقال له الله في لسان العرب أي المعبود الذي إله الانسان وتحير في درك ماهيته وخدا في لسان الفرس أي الوجود الذي لا علة له ويعبر عن ذلك في اصطلاح الحكماء بواجب الوجود بالذات ويزدان في لسان المجوس والاب في لسان النصارى ورام في لسان هندو

من أهل الهند وتاري في لسان الترك ودهر من حيث الخطأ في التطبيق في لسان الدهرية وهكذا ، ولذا ورد النهي عن سب الدهر كما روى الشيخ الطبرسي قدس سره في مجمع البيان عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر انتهى . قال وتأويله ان أهل الجاهلية كانوا ينسبون الحوادث المجحفة والبلايا النازلة الى الدهر ويقولون فعل الدهر كذا وكانوا يسبون الدهر فقال ان فاعل هذه الامور هو الله تعالى فلا تسبوا فاعلها وقيل معناه لا تسبوا الدهر فان الله مصرف الدهر ومدبره قال والوجه الاول أحسن فان كلامهم مملو من ذلك ينسبون أفعال الله الى الدهر .

في النبوة

الثاني من أصول الاسلام النبوة وقبل الشروع في الحكم وكيفية الاعتقاد بذلك لابد من بيان مقدمة وهي عبارة عن سؤال وجواب .

والسؤال هو انه بأي دليل يلزم أن يكون الانسان متدينا بدين وعلى فرض اللزوم لأي شيء يلزم أن يكون متدينا بدين الاسلام دون سائر الأديان .

في سؤال وجواب

والجواب هو ان وجود كل واحد من المواليد الثلاثة من الجماد والنبات والحيوان يحتاج بالضرورة إلى ترتيب ونظام مخصوص بحيث لو لم يكن ذلك الترتيب والنظام الخاص لاختل وجوده ولم يكن التمايز بين أنواع الموجودات ، وبعبارة أخرى يكون هذا العالم عالم التركيب والتحليل حيث ان وجود كل واحد من الموجودات مركب من الامهات الأربعة والأجزاء الأصلية التي يقال لها العناصر ويكون تركيب تلك الأجزاء على ترتيب ونظام يكون مختصا بذلك الوجود فالجماد في تركيب الأجزاء الأصلية يحتاج في عالم التكوين الى قوة حافظة للتركيب والصور لتحفظ العناصر المتضادة عن التفرق والنفس النباتية علاوة عن القوة المزبورة تحتاج الى قوى تكون أشرف من القوة المزبورة وهي القوة الغاذية

في احتياج المواليد الثلاثة إلى النظام التكويني

والنامية والمولدة والنفس الحيوانية علاوة عن القوة الجمادية والقوى النباتية تحتاج إلى قوى تكون أشرف من القوة الجمادية والقوى النباتيـة وهي الحس والحركة الارادية والنوع الانسانى من الحيوان علاوة عن القوة الجمادية والقوى النباتيـة والحيوانية يحتاج إلى قوة تكون أشرف وألطف من القوة الجمادية والقوى النباتية والحيوانية وهي القوة العاقلة لادراك المعاني الكلية وفهم الأشياء المجهولة وهـذا الاختلاف بين المواليـد يكون ناشياً عن اختلاف القوابل الناشى عن اختلاف الاستعداد الناشى عن اختلاف الأمزجة بسبب بعدها وقربها من الاعتدال وكل من كان مزاجه أقرب الى الاعتدال قبل نفسا أكمل والانسان من بين الحيوانات بعد خروجه من التوحش ومعرفة الصانع تعالى وان غرض الصانع تعالى من خلق الجن والانس يكون معرفته وكونه باقياً على التوحش يكون مبغوضاً له مدني واجتماعي بالطبع فى أمر معاشه بالضرورة وواضح انه يتفاوت عقول البشر فى تحصيل المعاش بحيث يحصل التنافر المضاد لحكمة الاجتماع فعلاوة عن النظام التكويني

في احتياج البشر إلى النظام التشريعي

لابد من نظام تشريعي لرفاهية البشر ليقهرهم على الاجتماع وأحسن القوانين هو أن يكون شعبة من الأديان التي هي القوانين الروحية العاليـة التي يكون عقول متعارف البشر عاجزة عن وضعها وإدراك مصالحها لأن النظام المجرد عن الديانة متكفل فقط لعدم ارتكاب القبايح في العلانية ولا يكون متكفلا لعدم ارتكابها فى الخلاء ولـكن اذا كان القانون شعبة من الديانة يكون متكفلا لعدم ارتكاب القبايح في الخلوة أيضاً حيث ان الانسان اذا اعتقد بالصانع تعالى وبالقيمة يكون ذلك رادعاً له عن ارتكاب القبايح والأعمال الشنيعة حتى في الخلوة وأفضـل الأديان هو أن يكون قوانينه متكفلة لحاجات الامم بحسب اختلاف الأزمان والصحيح من الأديان والقوانين باتفاق حكماء الشرق والغرب فعلا هو الديانة

الاسلامية لأن صادع الشرع الاسلامي بيّن جميع حاجات الامم على حسب اختلاف الأزمان حيث بين حكم كل شيء من النافع والمضر وما يكون موجباً لتحصين الاسلام فالصحيح من الأديان فعلا هو دين الاسلام فاللازم على الانسان أن يكون متديناً به دون سائر الأديان .

في كيفية الاعتقاد بالنبوة

وبعدما عرفت هذه المقدمة الشريفة فاعلم انه يجب على كل مكلف الاعتقاد بحقية جميع الأنبياء عليهم السلام وان عددهم مائة الف نبي وأربعة وعشرون الف نبي على المشهور بين الأصحاب جاؤا بالحق من عند الحق وان قولهم قول الله وأمرهم أمر الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله وانهم (ع) لم ينطقوا إلا عن الله تعالى وعن وحيه وان سادات الأنبياء خمسة الذين دارت عليهم الوحي وهم أصحاب الشرايع وهم أولوا العزم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين وان محمداً سيدهم وأفضلهم وانه جاء بالحق وصدق المرسلين وان الذين كذبوه لذائقوا العذاب الأليم وان الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون الفائزون .

ويدل على انه يجب على كل مكلف الاعتقاد بحقية جميع الأنبياء آيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة البقرة : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) ومنها قوله تعالى في السورة المزبورة : (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .

كما يدل على انه يجب على كل مكلف الاعتقاد بحقية جميع الأنبياء أخبار كثيرة منها ما في كتاب الخصال فيما علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه إذا قرأتم

قولوا آمنا فقولوا آمنا إلى قوله مسلمون ، ومنها ما في الفقيه في وصاياه لابنه محمد ابن الحنفية وفرض على اللسان الاقرار والتعبير عن القلب بما عقده عليه فقال عز وجل قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية ، ولنعم ما قيل في المقام :

اطلب المعنى من الفرقان وقل لا نفرق بين آحاد الرسل

في نسب خاتم النبيين (ص)

وبالجملة يجب على كل مكلف الاعتقاد بحقية جميع الأنبياء وان الأول من مائة الف نبي وأربعة وعشرون الف بني آدم وآخرهم الرسول الينا والمفروضة طاعته على كافة المكلفين وعلينا والواسطة بين الله وبين الناس ومن عصمه الله عن كافة المعاصي والادناس نبينا محمد بن عبد الله خاتم النبيين صلى الله عليه وآله الطاهرين المتولد في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول والمتوفى في ذاك اليوم على رواية الكليني قدس سره في الكافي والمتولد على المشهور كما ذكر الشيخ قدس سره في التهذيب في يوم السابع عشر من شهر ربيع الاول المبعوث في يوم السابع والعشرين من رجب والمعرج به إلى السماء في ليلته على الاشهر والمتوفى بالمدينة مسموماً بسم المرأة اليهودية الخيبرية في اليوم الثامن والعشرين من صفر المدفون بالمدينة المنورة ونسبه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وأمه آمنة بنت وهب ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : من لم يعرف آبائي إلى عدنان فهو ناقص الايمان ، ولكن روى الشيخ الطبرسي قدس سره في كتاب أعلام الورى عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : اذا بلغ نسبي عدنان فامسكوا انتهى .

في الدليل على نبوة خاتم النبيين (ص)

وتثبت نبوته (ص) بوجوه : والاول من تلك الوجوه معجزاته والمعجزة

في تعريف المعجزة والاشارة الى بعض معجزاته

كما عرّفها شمس الحكماء والمتألهين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه الزكية عبارة عن ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى إذا علم ذلك فاعلم ان معجزاته (ص) أقوى من معجزات الانبياء السابقين ظهوراً وأقرب صدوراً وأوفر عدداً وأصح سنداً بل معلوم بالتواتر الذي يفيد العلم ضرورة .

في شق القمر

(فمنها) انشقاق القمر وقد روى الشيخ الطوسي قدس سره في تفسير التبيان عن ابن عباس انه اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم إن فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا انتهى .

إن قلت : انشقاق القمر لو كان لم يخف على أهل الاقطار ولدونوا ذلك في دفاترهم والحال انهم لم يكتبوا ذلك في تواريخهم فيحمل قوله تعالى في سورة القمر وانشق القمر على انه يقع ذلك فيما بعد .

قلت : أولا وقع الانشقاق ولكن الخفاء وعدم تدوين بعض أهل الاقطار يكون بلحاظ ان كروية الارض مانعة لرؤية بعض أهل الاقطار . وثانيا يجوز أن يحجبه الله عنهم بغيم . وثالثا انه كان ليلا فيجوز أن يكون الناس كانوا نياما فلم يعلموا به لأنه لم يستمر الزمان الطويل بل رجع فالتأم في الحال فالمعجزة تمت بذلك وحمل الآية على الاستقبال مجاز لان انشق يفيد الماضي . ورابعا لا ملازمة بين عدم تدوينهم وبين عدم الوقوع بل وقع ولكن لم يكتبوا عناداً وإخفاء لمقام النبوة .

(ومنها) نبوع الماء من بين أصابعه حتى اكتفى الخلق الكثير من الماء

القليل بعد رجوعه من غزوة تبوك .

(ومنها) إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل .

(ومنها) تسبيح الحصى في كفه .

(ومنها) كلام الذراع المسموم .

(ومنها) حنين الجذع حيث كان يخطب عند الجذع فاتخذ له منبراً فانتقل اليه فحن الجذع اليه حنين الناقة إلى ولدها فالتزمه فسكن .

(ومنها) كلام الحيوانات الصامتة كما شهد الذئب له بالرسالة فان رهبان ابن أوس كان يرعى غنماً له فجاء ذئب فأخذ شاة منها فسعى نحوه فقال له الذئب العجب من أخذي شاة هذا محمد يدعو إلى الحق فلا تجيبونه فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وأسلم وكان يدعي مكلم الذئب .

(ومنها) استجابة دعائه (ص) كما دعا لعلي عليه السلام بأن يصرف الله تعالى عنه الحر والبرد فكان لباسه في الصيف والشتاء واحداً وكما دعا الشجرة فأجابته وجاءته تخد الارض من غير جاذب ولا دافع ثم رجعت إلى مكانها .

في اخباره بالغايبات

(ومنها) الاخبار بالغايبات في مواضع كثيرة كما أخبر بقتل الحسين أرواحنا وأرواح العالمين له الفداء وموضع القتل به فقتل في ذلك الموضع ، وقال لاصحابه انكم ستفتحون مصر فاذا فتحتموها فاستوصوا بالقبط خيراً فان لهم رحماً وذمة انتهى ، والقبط بالكسر أهل مصر والايصاء لهم بالخير كان من جهة ان أم ابنه ابراهيم كانت من أهل مصر ، وأخبر أصحابه بادعاء مسيلمة النبوة باليمامة وادعاء العنسي النبوة بصنعا وانهما سيقتلان فقتل فيروز الديلمي العنسي قرب وفاة النبي (ص) وقتل خالد بن وليد مسيلمة ، وقال لعمار تقتلك الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية ولاشتهار هذا الخبر لم يتمكن معاوية من دفعه واحتال

على العوام فقال قتله من جاء به فعارضه ابن عباس وقال لم يقتل الكفار إذن حمزة وإنما قتله رسول الله (ص) لأنه هو الذي جاء به اليهم حتى قتلوه ، وقال لعلي عليه السلام ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين انتهى ، والناكثون طلحة والزبير لأنهما بايعاه ونكثا وأعوانهما فالناكثون أهل الجمل لأنهم نكثوا البيعة ونقضوها واستنزلوا المرأة وساروا بها إلى البصرة وهم عسكر الجمل ورؤساؤه والقاسطون الذين قسطوا أي جاروا حين حاربوا إمام الحق كمعاوية وأتباعه وأعوانه الذين عدلوا عن أمير المؤمنين عليه السلام وحاربوه في وقعة صفين فالقاسطون أي الجايرون أخذا من القسوط الذي هو الجور والعدول عن الحق والاقساط العدل والضابط ان ماكان من قسط فهو بمعنى الجور وما كان من أقسط فهو بمعنى العدل ، وصفين بكسر الصاد مثقل الفاء موضع على الفرات من الجانب الغربي بطرف الشام والمارقون هم الخارجون عن الملة لأنهم مرقوا من الدين وسموا خوارج لخروجهم على علي عليه السلام فالمارقون هم الذين مرقوا من دين الله واستحلوا القتال من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وهم عبد الله بن وهب وهرقوص بن زهير البجلي المعروف بذى الثدية وتعرف تلك الوقعة بيوم النهروان وهي من أرض العراق على أربعة فراسخ من بغداد .

في معراج خاتم النبيين (ص)

(ومنها) معراجه (ص) من مكة المعظمة إلى بيت المقدس ثم منه إلى السماء السابعة قال الله تعالى في سورة الاسراء سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وقال سبحانه وتعالى في سورة والنجم ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى الآية واعلم ان

المعراج لم يكن للانبياء إلا ليونس بن متى الى الماء والأبحار كما قال الله تعالى في سورة الصافات : « وان يونس لمن المرسلين إذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين » الآية ، ونبينا محمد بن عبد الله (ص) الى السماء ، وقد روى جلال الدين محمد البلخي في المجلد الثالث من كتاب المثنوي عن النبي (ص) قال : لا تفضلوني على يونس بن متى فان معراجي الى السماء ومعراجه الى الماء انتهى ، يعني لاتفضلوني على يونس بن متى من حيث صدور ترك الاولى منه وهو فراره من قومه بلا إذن واجازة من الله سبحانه وتعالى ولا من حيث المعراج لأن معراجي الى السماء ومعراجه الى الماء ولا من حيث النبوة لأنا معاشر الأنبياء كلنا سواء من حيث النبوة بل فضيلتي على يونس بن متى وعلى سائر الأنبياء يكون من جهة اني حبيب الله وخاتم النبيين فالمعراج يكون من خصائص يونس بن متى في الماء والأبحار ومن خصائص نبينا محمد بن عبد الله (ص) الى السماء ، والاشكال بأنه لا يمكن صعود الجسم الثقيل الى السماء غير صحيح حيث ان صعود الجسم الثقيل الى السماء وان كان ممتنعاً عادة ولكنه ممكن عقلا حيث نرى ونشاهد في هذا العصر صعود الجسم الثقيل الى السماء بواسطة الامور الخارجية والقوى القسرية فيمكن صعود الجسم الثقيل الى السماء بالأسباب الالهية وقدرة الباري تعالى بالطريق الأولى ، كما ان الاشكال بأنه لا يمكن أن يعرج الجسم الى السماء حيث تهلكه الطبقة الزمهريرية الهوائية وتحرقه الكرة النارية أيضاً غير صحيح لأن الطبقة الزمهريرية الهوائية والكرة النارية تكونان من الأجسام ولا تكون البرودة ذاتياً للهواء ولا الاحراق ذاتياً للنار بل يكون الهواء اقتضاء البرودة والنار اقتضاء الاحراق ،

في الجواب عما يورد على المعراج

فالباري تعالى أوجد المانع عن تأثيرها في بدن النبي (ص) كما أوجد المانع في السمندل لعدم تأثير النار فيه فكانت النار والهواء الزمهريرية بحالها لكنه تعالى دفع عنه أذيتها وحال بينها وبين جسمه فلم تصلا اليه كما يشعر بذلك قوله تعالى في قصة ابراهيم (ع): «قلنا يا نار كوني برداً وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين» ويدل عليه مارواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن الامام الصادق عليه السلام في قوله تعالى حكاية عن يعقوب: «اني لأجد ريح يوسف» قال: ان ابراهيم (ع) لما أوقدت له النار أتاه جبرئيل (ع) بثوب من ثياب الجنة وألبسه إياه فلم يضره معه حر ولا برد فلما حضر ابراهيم الموت جعله في تميمة وعلقه على اسحق وعلقه اسحق على يعقوب فلما ولد يوسف علقه عليه وكان في عضده حتى كان من أمره ما كان فلما أخرجه يوسف بمصر من التميمة وجد يعقوب ريحه وهو قوله: «اني لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون» وعلى فرض تسليم أن تكون البرودة ذاتياً للهواء والاحراق ذاتياً للنار، نقول: ان الباري تعالى سلب عنها البرودة والاحراق على خلاف المعتاد فانقلاب الهواء الزمهريرية هواء طيبة وكذا انقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد لأن المعراج يكون من معجزات مقام النبوة فالله سبحانه وتعالى أحدث في الهواء الزمهريرية ناراً بدلا من شدة البرودة التي فيها وأحدث في النار برداً بدلا من شدة الحرارة التي فيها فلم تؤذياه.

واما الاشكال بأن السموات تكون بنحو الحاوي والمحوي والعروج اليها مستلزم لخرقها وخرقها محال حيث انها تكون كروية فحركتها تكون بنحو الاستدارة وخرقها موجب لحدوث حركة لها بنحو الاستقامة والحال انه لا يكون للجسم الطبيعي في آن واحد اقتضاء شيئين من الحركة الاستدارية والاستقامية مع انه

لا مكان للجسم السماوي في الحركة الاستقامية فأوضح فساداً من الاشكالين المتقدمين (أولا) من جهة ان ما ذكر في علم هيئة القديم من كون السموات بنحو الحاوي والمحوي لا أصل له ولا دليل عليه بل السموات كرات معلقة في الجو الغير المتناهي كما يدل على هذا المعنى ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض مربوطة كل مدينة بعمودين من نور طول ذلك العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة . و (ثانياً) هذا الاشكال ناش عن التوغل في المطالب العقلية وعدم الاطلاع عن الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار في الأدعية والأذكار حيث انه على تسليم كون السموات بنحو الحاوي والمحوي يمكن العروج اليها من أبوابها حيث تدل أخبار كثيرة على وجود الأبواب لها منها ما روى الكليني قدس سره عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : ان الله عز وجل يحب من عباده المؤمنين كل دعاء فعليكم بالدعاء في السحر الى طلوع الشمس فانها ساعة تفتح فيها أبواب السماء وتقسم فيها الأرزاق وتقضى فيها الحوايج العظام .

(ومنها) ماروى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اطلبوا الدعاء في أربع ساعات عند هبوب الرياح وزوال الأفياء ونزول المطر وأول قطرة من دم القتيل المؤمن فان أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء .

(ومنها) قول الصادق عليه السلام كما روى الشيخ الطوسي في المصباح في دعاء السمات (١) الذي يستحب قراءته في ساعة آخر من نهار يوم الجمعة : « اللهم اني أسألك باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم الذي اذا دعيت به على مغالق أبواب السماء بالرحمة انفتحت » .

---

(١) والسمات بكسر السين جمع السمة وهي العلامة يكون عليه علامات الاجابة

فعروجه (ص) الى السماء كان بالروح والجسد معاً لظاهر الآيتين المتقدمتين بقرينة لفظ العبد فيهما والأخبار والاجماع فلا يصح التفوه بأن عروجه الى السماء كان بالروح فقط وإسناد العروج الى الروح كما في قول الامام الصادق عليه السلام في دعاء الندبة وسخرت له البراق وعرجت بروحه الى سمائك لاينافي ظاهر الكتاب والسنة والاجماع لأن الانسان مركب من البدن والروح الذي يكون محيطاً بالبدن وكان العروج بهما معاً ولكن المتعارف عند العرف وأبناء المحاورة يسندون الفعل الى الجزء الأعظم كما يقولون فتح الأمير البلد ويدل عليه تسخير البراق له حيث ان عروج الروح لايحتاج الى تسخير البراق والمركوب مع ان معراجه (ص) من معجزاته وعروج الروح فقط لايعد معجزة حيث يمكن لنوع الارواح العروج الى السماء أيضاً.

في المعجزة الباقية

(ومنها) المعجز الباقي مدى الدهر الذي هو أعظم المعجزات وأشرفها أعني القرآن الكريم الذي تحدى وعارض به الخلق وطلب منهم الاتيان بمثله فلم يقدروا على ذلك وعجزت عنه فحول الفصحاء والبلغاء من العرب العرباء ووجه اعجاز القرآن قيل فصاحته وقيل فصاحته مع الفن والضرب يعني كون اسلوبه مخالفاً لأساليب الكلام كما ذهب اليه المشهور وقيل وجه إعجاز القرآن هو الصرفة يعني صرف الله تعالى العرب عن معارضته كما ذهب اليه السيد المرتضى قدس سره وكل هذه الوجوه محتمل لأن ما قاله السيد المرتضى قدس سره ينطبق أيضاً على معنى المعجزة حيث ان المعجزة كما مر عبارة عن ثبوت ماليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى ووجه انطباق ما قاله السيد المرتضى قدس سره على معنى المعجزة هو أن الوجود والعدم سواء في الاعجاز، وغيرذلك مما لا يحصى كثرة وذلك معلوم في كتب المعجزات والتواريخ حتى حفظ عنه

ما يزيد على الألف الذي أعظمها وأشرفها الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا تمله الطباع ولا تمجه السماع ولا يخلق بكثرة الرد اليه ولا تنجلي الظلمات إلا به .

في تبشير الانبياء السابقين بمجيء خاتم النبيين (ص)

الوجه الثاني اخبار الانبياء السابقين وتبشيرهم بمجيئه (ص) ومجيء خلفائه الاثني عشر (ع) كما أخبر موسى (ع) في مواضع من التوراة :

(منها) انه بشر بمجيء ماد ماد واثني عشر إماماً من ولده في الباب السابع عشر من سفر تكوين التوراة المطبوعة في لندن في سنة الف وثمانمائة وستة وخمسين الميلادي حيث قال موسى (ع) في الباب المزبور ان الملك نزل على ابراهيم (ع) فقال له انه يولد في هذا العالم لك غلام اسمه اسحق فقال ابراهيم (ع) ليت اسماعيل يعيش بين أيديك يخدمنك أو يخدمك فقال الله لابراهيم لك ذلك قد استجبت في اسماعيل واني أباركه وأعظمه بماد ماد يلد اثني عشر إماما وماد ماد في العبراني وهو لغة اليهود بمعنى محمد وقد أسقطوا كلمة ماد ماد في الطباع المتأخرة عن السنة المزبورة وبدلوا كلمة اثني عشر إماما باثني عشر عظيما .

وكما أخبر عيسى (ع) في مواضع من الانجيل (منها) انه بشر بمجيء الفارقليط يعني أحمد بعده في الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا وغيره المطبوع في لندن في سنة الف وثمانمائة وثمانية وسبعين الميلادي حيث قال في الباب المزبور ابن البشر ذاهب والفارقليط يأتي بعده يحيي أو يجلي لكم الاسرار ويفسر لكم كل شيء وهو يشهد لي كما شهدت له وفي الطباع المتأخرة عن السنة المزبورة بدلوا كلمة الفاقليط بكلمة المعزّى وقد حكى الله تعالى لنبينا (ص) أخبار عيسى (ع) بمجيئه في القرآن في سورة الصف بقوله : وإذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من

بعدي اسمه أحمد الآية ، وقد ذكرنا تفصيل أخبار موسى وتبشير عيسى بمجيئه صلى الله عليه وآله في كتابنا الكبير نرجو من الله تعالى أن يهيء أسباب طبعه .

وقال الله سبحانه وتعالى في كتاب حزقيل النبي لبني اسرائيل اني مؤيد بني قيدار بالملائكة وقيدار جد العرب ابن اسماعيل لصلبه الى أن قال وان محمداً أخرج اليهم بمن أطاعه من بني قيدار فيقتل مقاتليهم وأيدهم الله بالملائكة في بدر والخندق وحنين .

وقال الله سبحانه وتعالى في كتاب شعيا النبي عبدي خيرتي من خلقي رضى نفسي أفيض عليه روحي أو قال انزل فيظهر في الامم عدلي لا يسمع صوته في الاسواق يفتح العيون العور ويسمع الآذان الصم ولا يميل الى اللهو ركن المتواضعين وهو نور الله الذي لا يطفى حتى تثبت في الارض حجتي وينقطع به العذر ، وقال في الفصل الخامس أثر سلطانه على كتفه يعني علامة النبوة حيث كان على كتفه صلى الله عليه وآله خاتم النبوة .

وروي عن كعب الاحبار أي عالم العلماء وكان من علماء أهل الكتاب أسلم في عهد أمير المؤمنين عليه السلام فصار من فضلاء التابعين ان الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة محمد صلى الله عليه وآله علماء أتقياء كأنهم في الفقه أنبياء يرضون من الدنيا باليسير ويرضى الله منهم باليسير من العمل .

«فائدة»

في عموم نبوة خاتم النبيين «ص»

وهي ان محمد بن عبد الله خاتم النبيين صلى الله عليه وآله الطاهرين مبعوث الى كافة الجن والانس دون صنف خاص منهم لقوله تعالى في سورة السباء : « وما أرسلناك إلا كافة للناس » ولقـــوله صلى الله عليه وآله : « بعثت الى الاسود والاحمر » انتهى ، ودعاهم الى الله عز وجل والى نبوته بنفسه حيث كان يفهم كل لغـة ويتكلم بكل لسان كما روى علي بن ابراهيم القمي عن الامام الصادق عليه السلام انه قال لرجل أخبرني عن الرسول كان عاماً للناس اليس قد قال الله عز وجل في محكم كتابه : « وما أرسلناك إلا كافة للناس » لأهل الشرق والغرب وأهل السماء والارض من الجن والانس هل بلغ رسالته اليهم كلهم قال لا أدري قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخرج من المدينة فكيف أبلغ أهل الشرق والغرب ثم قال ان الله تعالى أمر جبرئيل فاقتلع الارض بريشة من جناحه ونصبها لرسول الله «ص» فكانت بين يديه مثل راحته في كفه ينظر الى أهل الشرق والغرب ويخاطب كل قوم بألسنتهم بدعوهم الى الله عز وجل والى نبوته بنفسه فما بقيت قرية ولا مدينة إلا ودعاهم النبي بنفسه انتهى .

إن قلت : انكشف انه يكون في بعض البقاع والاقطار من لم يبلغه دعوته صلى الله عليه وآله لعدم وجود المسلم ولا اسم الاسلام فيهم فكيف كان مبعوثاً الى كافة البشر .

قلت : « أولا » يمكن ان النبي ص دعاهم بنفسه الى الاسلام ولـكن لم يقبلوا منه الاسلام وعلى فرض القبول لم يبق الاسلام في تلك البقاع والاقطار لأجل الطواري والعوارض الخارجية .

و« ثانياً » لا ملازمة بين كونه مبعوثاً الى كافة البشر و بين دعوتهم الى الاسلام بنفسه بل مبعوث الى كافة البشر ولكن دعوتهم الى الاسلام تكون بالتدريج بعضهم بدون الواسطة والبعض الآخر بالواسطة الى يوم القيامة كما يدل عليه قوله تعالى في سورة الأنعام : وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ

في المعاد « الثالث » من أصول الاسلام المعاد الجسماني حيث ان المعاد وحشر الأجسام أمر ممكن من جهة ان الانسان مركب من بدن وروح يكون محيطاً بالبدن ، اما الجزء الأول فلأن أجزاء بدن الميت قابلة للجمع حيث ان الأجزاء لا فناء لها من جهة ان التغير والتبدل يكون بالنسبة الى صورة الأجزاء ولكن المادة باقية وشيئية الشيء من حيث ترتب الآثار وإن كانت بصورته العرضية ولكن شيئية الشيء من حيث البقاء تكون بالمادة والمادة باقية في جميع الحالات فأجزاء بدن الميت قابلة للجمع وإفاضة الحياة عليها بحيث يقال انه فلان كما روى محمد بن الحسن الطوسي قدس سره عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله جعفر ابن محمد الصادق عليهما السلام عن أرواح المؤمنين فقال في الجنة على صور أبدانهم لو رأيتهم لقلت فلان انتهى كما يدل على ان شيئية الشيء من حيث البقاء تكون بمادته وإن كانت شيئية الشيء من حيث ترتب الآثار بصورته العرضية قوله تعالى : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزاً حكيماً » .

وفي الاحتجاج عن الصادق عليه السلام انه سئل ابن أبي العوجاء عن هذه الآية فقال ماذنب الغير قال ويحك هي هي وهي غيرها قال فمثّل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا قال نعم أرأيت ان رجلا أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي هي وهي غيرها انتهى .

واما الجزء الثاني أي الروح فهو ان للانسان روحا مجرداً لا فناء له علاوة عن الدم والروح البخاري المتصاعد عن القلب لوجوه :

(منها) الأخبار وهي كثيرة ، منها ما رواه الشيخ الجليل شيخنا البهائي قدس سره في الكشكول عن كميل بن زياد قال : سألت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قلت : أريد أن تعرفني نفسي ، قال : يا كميل أي نفس تريد ؟ قلت يا مولاي هل هي إلا نفس واحدة ؟ فقال : يا كميل إنما هي أربع النامية النباتية والحسية الحيوانية والناطقة القدسية والكلمة الالهية أو الكلية الالهية ـ إلى أن قال ـ والكلمة الالهية هي التي مبدئها من الله واليه تعود لقوله تعالى : « ونفخنا فيه من روحنا » واما عودها فلقوله تعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية » الحديث . يعني النفس بالمرتبة الرابعة جوهر مجرد كنهه وحقيقته العبودية لا فناء له .

و (منها) ما رواه جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ان الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام ، الحديث .

و (منها) ان اختلاف الآثار والادراكات يدل على ان للانسان نفساً مجرداً علاوة عن الدم والروح البخاري المتصاعد عن القلب حيث انه رب انسان في نهاية الهزال ويكون ادراكه وفهمه أكثر من السمين والحال انه لو لم يكن للانسان نفس مجرد علاوة عن الدم والروح البخاري لابد وأن يكون الأمر بالضد وأن يكون إدراك السمين وفهمه أكثر لأن الدم والروح البخاري فيه أكثر من الهزال .

و (منها) ان الانسان يتكامل بالفكر فيعلم من ذلك ان له روحا مجرداً

في الدليل على وجوب المعاد الجسماني

علاوة عن الدم والروح البخاري حيث ان روحه لو كان جسما ومنحصراً بالدم والروح البخاري لا يتكامل بالفكر بل الفكر موجب لمزاله لا لكماله فالانسان المركب من البدن والنفس لا فناء له بعد موته فاجزاء بدنه بعد موته قابلة للجمع وافاضة الحيوة عليها وإلا لما اتصف بهامن قبل والله تعالى عالم بأجزاء كل شخص لأنه عالم بكل المعلومات من الكليات يعني المجردات والجزئيات وقادر على جمعها حيث ان ذلك أمر ممكن والله تعالى قادر على كل الممكنات فاحياء الأجسام أمر ممكن .

فيجب على كل مكلف الاعتقاد بالوجود الثاني للابدان واعادتها بعدموتها فى عالم آخر بعد هذا العالم لجزاء الأعمال من الثواب والعقاب . أولا لآيات كثيرة منها قوله تعالى : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » . وثانيا لأخبار كثيرة منها قول النبي صلى الله عليه وآله : يا بني عبد المطلب ان الرائد (١) لا يكذب أهله والذي بعثني بالحق نبيا لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون وما بعد الموت دار إلا الجنة والنار وخلق جميع الخلق و بعثهم على الله عز وجل كخلق نفس واحدة وذلك قوله تعالى : « ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » . وثالثا لحكم العقل بوجوب المعاد البدني لأن الله سبحانه وتعالى قد كلف الانسان بتكاليف والتكليف مشقة مستلزمة للتعويض عنها فان المشقة من غير عوض ظلم وذلك العوض غير حاصل فى الدنيا فلا بد من دار أخرى وعالم آخر يحصل فيه الجزاء على الأعمال وإلا لكان التكليف ظلماً وهو قبيح تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا معانه لولا المعاد لضاع عمل العاملين وذهبت حقوق المظلومين ولساوى أشقى

(١) والرائد هو دليل القوم وهاديهم .

الأشقياء أفضل الأنبياء إذ ليس في الدنيا ما يصلح للجزاء مع ان اقبالها على الفجار بمقدار إعراضها عن الأخيار ولولا عود تلك الأجسام لما ورد الثواب والعقاب على المباشر للطاعات والآثام .

لا يقال ان البدن ينعدم بصورته وإعراضه لقطع تعلق النفس عنها فلا يعاد بشخصه إذ المعدوم لا يعاد والنفس جوهر مجرد باق لا سبيل للفناء اليها فتعود النفس إلى عالم المفارقات فيكون المعاد روحانياً لا جسمانياً .

في إبطال القول بالمعاد الروحاني

فانه يقال ان البدن لا ينعدم بصورته بل الصورة تبقى في وعاء الدهر ويمتنع ارتفاعها حيث ان ارتفاع الطبيعة يكون بارتفاع جميع أفرادها كيف ولو ارتفعت لزم معاذاً بالله زوال علم الله تعالى فرسم البدن وصورته محفوظة في علم الله تعالى وإن كانت أجزاء البدن في التغير والتبدل كما مر .

لا يقال ان المشاعر الظاهرة للنفس الحيوانية أي القوى الجزئية البدنية من السمع والبصر والشم والذوق واللمس والحواس الباطنة من الحس المشترك والخيال والوهم والحافظة والمتصرفة كيفيات أو صور حالة في الأرواح البخارية التي في تجاويف البدن الذي يكون غلافا للارواح البخارية وواضح انه اذا انتفى المحل والبدن انتفى الحال والقوى الجزئية فبعد فساد البدن والروح البخاري لم تبق القوى الحالة الجزئية واذا لم تبق القوى المدركة للجزئيات فكيف يدرك الحور والقصور أو النار والزمهرير وكلها جزئيات والباقي ليس إلا النفس الناطقة حيث انها مجرد باق لا سبيل للفناء اليها ولكن النفس ليس من شأنها إدراك الجزئيات إلا بتوسيط الخدام والقوى الجزئية الغير الباقية فالنفس لا تدرك بذاتها إلا الكليات والمجردات فيكون المعاد روحانياً لا جسمانياً .

فانه يقال كما تكون القوى الظاهرة والباطنة للبدن كذلك تكون تلك

القوى النفس والقوى التي تكون في البدن اظلال لما في النفس وبالقوى التي في النفس تدرك في النوم والسكر والمرض مع ان الحكماء قالوا بتجرد الحواس الباطنة فلا سبيل للفناء اليها مع ان المعاد الجسماني من ضروريات الدين وإنكار ضروري من ضروريات الدين ان لم يكن لشبهة كفر نعوذ بالله .

في شبهة الآكل والمأكول ودفعها

ثم انه يورد على المعاد الجسماني بشبهات (منها) شبهة الآكل والمأكول وهي انه اذا صار انسان غذاء لانسان آخر فالأجزاء المأكولة اما أن تعاد في بدن الآكل أو في بدن المأكول وأيا ماكان لايكون أحدهما بعينه معاداً بتمامه والشبهة تصير أصعب بفرض أن يكون كافر نشأ على ذبح المؤمنين وأكل لحومهم تمام عمره بل انعقاد نطفة أبيه وطمث أمه منها وأيضاً اذا كان الآكل كافراً والمأكول مؤمناً يلزم اما تعذيب المطيع أو تنعيم الكافر أو أن يكون شخص واحد كافراً معذباً مؤمناً منعماً .

ويجاب عنها أولا بما قيل (١) من ان تشخص كل انسان يكون بنفسه لا ببدنه وان البدن المعتبر فيه أمر مبهم وليس له من هذه الحيثية تعين ولا ذات ثابتة ولا يلزم من كون بدن زيد مثلا محشوراً أن يكون الجسم الذي صار مأكولا لسبع أو انسان آخر محشوراً بل كلما يتعلق به نفسه فهو بعينه بدنه ولكن هذا الجواب لا ينطبق على ظاهر الآيات والأخبار وإجماع الأنبياء والمسلمين حيث ان الظاهر منها لزوم معاد الجسم الدنيوي .

وثانياً ان العناصر والمواد باقية في جميع الحالات والتغير والتبدل يكون في صورها حيث انها تخلع صورة وتلبس صورة أخرى وقد عرفت ان شيئية الشيء من حيث البقاء تكون بالمادة وارتفاع الطبيعة يكون بارتفاع جميع أفرادها والمادة

(١) والقائل هو صدر المتألهين الشيرازي قدس سره .

لا ارتفاع لها بل الفناء والارتفاع يكون بالنسبة الى الصور العارضة على العناصر والمواد دون ماهيتها وهيوليها حيث ان هيوليها باقية في جميع الحالات كما قال الحكيم الالهي الحاج ملا هادي السبزواري قدس سره :

وشبهة الآكل والمأكول يدفعها من كان من فحول
إذ صورة بصورة لاتنقلب على الهيولى الانحفاظ منسحب
ففي وعاء الدهر كل قدوقى ما عندكم ينفـــد عنده بقى

وثالثاً ان الواجب في المعاد هو إعادة النفس المجردة مع الأجزاء الأصلية التي تعلقت النفس بها أولا واما الأجسام المتصلة بتلك الأجزاء فلا يجب اعادتها فلكل انسان أجزاء أصلية لا يمكن أن تصير جزءاً من غيرها بل تكون فواضل من غيره لو اغتـذيها كما يدل على هذا المعنى ما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي والصدوق قدس سره في الفقيه انه سئل عن الميت هل يبلى جسده قال نعم حتى لا يبقى له عظم ولا لحم إلا الطينة التي خلق منها فانها لاتبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة انتهى حيث ان المستفاد منه ان المعاد هو الأجزاء الأصلية واعادة الأجزاء الفضلية غير لازمة ، واعلم ان هذا الخبر مخصص بغير النبي وعترته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين لما ورد في أخبار كثيرة من أن أجسادهم الطاهرة لا تبلى كما في الفقيه وغيره كما يدل أيضاً على ما ذكر ما ورد عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال ان الروح مقيمة في مكانها روح المحسن في ضياء وفسحة وروح المسيء في ضيق وظلمة والبدن يصير ترابا كما منه خلق وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته ومزقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها وان تراب الروحانيين بمنزلة الذهب في التراب فاذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور فتربو الأرض ثم

في دفع شبهات

تمخض مخض السقا فيصير تراب البشر كصير الذهب من التراب اذا غسل بالماء والزبد من اللبن اذا مخض فتجمع تراب كل قالب إلى قالبه فينتقل باذن الله القادر إلى حيث الروح فتعود الصور باذن المصور كهيئتها وتلج الروح فيها قد استوى لا ينكر من نفسه شيئاً .

و (منها) ان المعاد لو كان جسمانيا كيف لا تكون الحاجة لأهل الجنة . والجواب عن ذلك هو ان عدم الحاجة لأهل الجنة يكون بملاحظة ان غذائهم رقيق لا ثقل له بل يخرج من أجسادهم بالعرق كما روى الشيخ أحمد الطبرسي قدس سره في الاحتجاج عن هشام بن الحكم قال سئل الزنديق أبا عبد الله (ع) فقال من أين قالوا ان أهل الجنة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها فاذا أكلها عادت كهيئتها قال نعم ذلك على قياس السراج يأتي القابس فيقتبس منه فلاينقص من ضوئه شيء وقد امتلأت الدنيا منه سرجا قال أليسوا يأكلون ويشربون وتزعم انه لا تكون لهم الحاجة قال بلى لأن غذائهم رقيق لا ثقل له بل يخرج من أجسادهم بالعرق الخبر ، وكما روى علي بن ابراهيم في تفسيره عن عمر بن عبد الله الثقفي قال سئل نصراني الشام الباقر عليه السلام عن أهل الجنة كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون اعطني مثله في الدنيا فقال عليه السلام هذا الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه ولا يتغوط الخبر .

و (منها) انه سأل الزنديق أبا عبد الله (ع) كيف يلتذ أهل الجنة بما فيها من النعيم وما من أحد إلا وقد افتقد ابنه أو أباه أو حميمه أو أمه فاذا افتقدوهم في الجنة لم يشكّوا في مصيرهم إلى النار فما يصنع بالنعيم من يعلم ان حميمه في النار يعذب . قال عليه السلام ان أهل العلم قالوا انهم ينسون ذكرهم وقال بعضهم انتظروا قدومهم ورجوا أن يكونوا بين الجنة والنار في أصحاب الاعراف انتهى

و (منها) انه إذا كبر الانسان بأن بلغ مائة سنة مثلا لايعلم ماعلمه وينسى ما عرفه قبل ذلك والحال انه قد ثبت ان الانسان إنما يبعث على ما مات عليه فاذا مات الكبير على غير معرفة فكيف يبعث عارفا .

والجواب عن ذلك انه لما كان مانعه عن الالتفات إلى معارفه أمراً عارضاً فلما زال ذلك بالموت برزت له معارفه التي كانت كامنة في ذاته بخلاف من لم يحصل المعرفة أصلا فانه ليس في ذاته شيء ليبرز له .

وأما بقية الشبهات من شبهة تغير علم الواجب تعالى بالتعلق بالجزئيات وشبهة التناسخ وخرق الأفلاك وشبهة مطالبة المكان للجنة والنار وشبهة مطالبة المادة للجنة والنار ولسكانها وشبهة مطالبة الغاية والغرض للاعادة وغير ذلك من الشبهات فقد أجبنا عنها في كتابنا الكبير نرجو من الله تعالى أن يهيئ أسباب طبعه

في خبر إذا تكاملت العدتان

وينبغي التنبيه على أمور : (الأول) في الخبر انه سئل عن القيمة متى تكون قال : اذا تكاملت العدتان انتهى ، قال عبد الله القتبي الذي هو من رواة الحديث ومن أكابر علمائهم المتوفى في سنة مائتين وستة وسبعين الهجري معناه عدة أهل الجنة وأهل النار إذا تكاملت عند الله تعالى لرجوعهم اليه فحينئذ قامت القيمة وقال أبو علي الفسائي الشيرازي المتوفى ببغداد في سنة ثلثمائة وسبعة وسبعين الهجري ويحتمل انه أراد بالعدتين عدة حيوة الأحياء من الحيوانات ثم مدة موتهم التي هي العدة الثانية في علم الله تعالى .

في انه لايكفي التقليد في الأصول الديانية

(الثاني) انه لايكفي التقليد في الاصول الديانية على المشهور بين الأصحاب لظاهر قوله تعالى : « ومن جاهد فينا لنهدينهم سبلنا » وظاهر قولهم عليهم السلام ان أول الدين معرفة الله وكمال المعرفة التصديق به الحديث ، حيث ان الظاهر منهما هو ان المجاهدة وتصور مفهوم واجب الوجود مأخوذ على وجه الموضوعية

وان المعرفة لابد وأن تكون من ناحية النظر والفكر لا التقليد ولا يصح دفع تعين الأول بالبرائة حيث ليس الدوران في المقام بين التعيين والتخيير الشرعي مثل دوران أمر الاستنجاء بين ثلاثة أحجار منفصلة وبين حجر واحد ذي ثلاث شعب حتى يدفع التعيين بأصل البرائة بل يكون من الدوران بين التعيين والتخيير العقلي ولادعاء العلامة الحلي قدس سره في الباب الحادي عشر الاجماع على وجوب تحصيل الاصول الدينية بالدليل لاالتقليد .

(الثالث) ان الرجوع الى قول الرسول أو الامام عليهما السلام ليس من التقليد المصطلح لأن التقليد في الاصطلاح عبارة عن الأخذ بقول الغير ورأيه من دون حجة على قوله وبرهان العصمة في النبي والامام حجة على صحة قوله ولذا قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا البخاري ان المعاد قسمان جسماني وروحاني فقد أغنانا عن بيانه الشريعة الحقة التي أتى بها سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله ، وأما الروحاني فنحن نشتغل ببيانه اه . فالمراد بعدم صحة التقليد في الاصول الدينية هو الأخذ بقول غير المعصوم أو بقوله مجرداً عن دليل يدل على صدقه وإلا فالأخذ بقوله في المعارف بعد إثبات كونه صادقا مما لا نزاع في جوازه ومن هذا الباب قول كثير من أهل الاسلام بالتوحيد والمعاد فانهم إنما يستندون في إثباتهما إلى قول النبي صلى الله عليه وآله وهذا مما لا غبار عليه والتحقيق خروج ذلك عن التقليد المصطلح كما مر .

في علة حدوث الرؤيا

(الرابع) روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في روضة الكافي عن الحسن بن عبد الرحمن عن أبي الحسن الأول يعني الكاظم عليه السلام قال ان الأحلام لم تكن فيما مضى في أول الخلق وإنما حدثت فقلت وما العلة في ذلك فقال ان الله عز ذكره بعث رسولا إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته

فقالوا ان فعلنا ذلك فما لنا فوالله ما أنت بأكثرنا مالا ولا بأعزنا عشيرة فقال ان أطعتموني أدخلكم الله الجنة وإن عصيتم أدخلكم الله النار فقالوا وما الجنة والنار ؟ فوصف لهم ذلك فقالوا : متى نصير الى ذلك ؟ فقال : اذا متم ، فقالوا : لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً ، فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافا فأحدث الله عز وجل فيهم الأحلام فأتوه فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك فقال : ان الله عز ذكره أراد أن يحتج عليكم بهذا هكذا تكون أرواحكم اذا متم وان بليت أبدانكم تصير الأرواح الى عقاب حتى تبعث الأبدان انتهى .

قال العلامة المجلسي قدس سره في المجلد الرابع عشر من كتاب بحار الأنوار المسمى بكتاب السماء والعالم بعد نقل هذا الخبر الشريف بيان الرفات كلما دق وكسر وما أنكروا من ذلك أي استغرابهم من ذلك أو ما أصابوا من المنكر والعذاب في النوم أو ما أنكروا أولا من عذاب البرزخ والأول أظهر هكذا تكون أرواحكم كما ان في النوم تتألم أرواحكم بما لم يظهر أثره على أجسادكم ولا يطلع من ينظر اليكم عليه كذلك نعيم البرزخ وعذابه انتهى . يستفاد من هذا الحديث أمور منها ان الأحلام حادثة ومنها ان عالم البرزخ يشبه عالم الأحلام ومنها ان الأرواح تعذب قبل أن تبعث الأبدان .

المقصد الثاني

في أصول الايمان

التي يكون الاعتقاد بها موجباً لصحة العمل والنجاة في الآخرة بالفوز بالجنة والنجاة من النار وهو اثنان :

في عدالة الباري تعالى

(الأول) هو وجوب الاعتقاد بعدالة الباري تعالى وتنزيهه عن فعل القبيح والاخلال بالواجب بيان ذلك بنحو الاجمال هو ان الله سبحانه وتعالى مستجمع لصفات الجمال من العلم والقدرة والارادة وغيرها ومنزه عن صفات الجلال من التركيب والجسم والمكان وغيرها والصفات الجمالية تكون عين ذاته خارجا وإن كانت مغايرة لها مفهوما وذهناً ، خلافا للاشاعرة حيث قالوا بزيادة الصفات على الذات وقد استدل لهم على ذلك بوجوه :

في القول بزيادة الصفاة الجمالية على الذات وبطلانه

(منها) انه لو كان العلم نفس الذات وكذا القدرة كان العلم نفس القدرة فكان المفهوم من العلم والقدرة شيئاً واحداً وذلك بديهي البطلان ، ولكن هذا الوجه مخدوش حيث انه لايدل إلا على زيادة الصفات على الذات من حيث المفهوم والوجود الذهني لا من حيث المصداق والوجود الخارجي ، مع ان قولهم باطل لأنه مستلزم لتعدد القديم وهو كفر نعوذ بالله علاوة انه مستلزم لاحتياج الذات الى الصفات والاحتياج يكون من لوازم الممكن فيلزم صيرورة الواجب ممكناً وهو أيضاً كفر نعوذ بالله كما ان الأشاعرة خالفوا ونفوا معاذاً بالله اتصاف المبدء تعالى بصفة العدالة من بين الصفات الجمالية لأجل إنكارهم الحسن والقبح العقليين وهذا هو السبب لبحث الحكماء والمتكلمين عن صفة العدالة بنحو الاستقلال والانفراد

وإثباتهم العدالة للمبدء تعالى وحكمهم بوجوب الاعتقاد بعدالة الباري تعالى فالأشاعرة لأجل إنكارهم الحسن والقبح العقليين نفوا معاذاً بالله صفة العدالة عن المبدء تعالى وقالوا بالجبر وان الأفعال تقع بقدرة الله تعالى والعبد مجبور عليها

في القول بعدم الحسن والقبح العقليين وبطلانه

واعلم ان الحسن والقبيح يقالان على ثلاثة معان : الأول ـ كون الشيء صفة كمال كقولنا العلم حسن أو صفة نقص كقولنا الجهل قبيح ، الثاني ـ كون الشيء ملائما للطبع كالمستلذات أو منافراً عنه كالآلام ، الثالث ـ كون الحسن ما يستحق على فعله المدح عاجلا والثواب آجلا والقبيح ما يستحق فاعله على فعله الذم عاجلا والعقاب آجلا ولا خلاف في كونهما عقليين بالاعتبارين الأولين .

واما بالاعتبار الثالث فقد خالف فيه الأشعري فقال : ليس في العقل ما يدل على الحسن والقبح بهذا المعنى بل الشرع فما حسّنه فهو الحسن وما قبّحه فهو القبيح ، ولكن قول الأشعري باطل حيث انا نعلم بالضرورة حسن بعض الأشياء وقبح بعضها من غير نظر الى شرع فان كل عاقل يجزم بحسن الاحسان ويمدح عليه ويقبّح الاساءة والظلم ويذم عليه وهذا حكم ضروري لا يقبل الشك وليس مستفاداً من الشرع لحكم الملاحدة وبراهمة الهند به من غير اعتراف منهم بالشرايع . وقد استدل أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ثلثمائة وأربعة وثلاثين على عدم الحسن والقبح العقليين بوجوه ضعيفة ، منها انه لو كان الكذب قبيحاً لكان الكذب المقتضي لتخليص المؤمن من يد الظالم قبيحاً والحال ان تخليص المؤمن من يد الظالم ليس بقبيح فلا يكون الكذب المقتضي لتخليص المؤمن من يد الظالم قبيحاً ولكن هذا الوجه ضعيف لأن الكذب لا يكون علة تامة للقبح كما ان النار لا تكون علة تامة للاحراق بل الكذب يكون مقتضياً للقبح كما ان النار تكون مقتضية للاحراق والمقتضي يؤثر أثره إن لم يكن في البين مانع عن تأثيره

وفي الفرض يكون المانع عن تأثيره حيث ان نجاة المؤمن أرجح من الصدق فترك الكذب أقبح من الكذب فيجب ارتكاب أدنى القبيحين وهو الكذب لاشتماله على المصلحة العظيمة الراجحة على الصدق .

في القول بالجبر وبطلانه

ثم الأشاعرة هم الجبرية قالوا ان الأفعال تقع بقدرة الله تعالى وقضائه والعبد مجبور عليها والمفوضة في قبالهم قالوا ان الله فوض أفعال العباد اليهم .

وقد استدل الأشعري أولا بوجوه عقلية ضعيفة منها ان العبد لو كان موجداً لفعل نفسه لجاز أن يوجد الجسم أيضاً لأن المصحح لتعلق الايجاد بفعل نفسه هو الحدوث والامكان وهو متحقق في الجسم ولكنه يكون محل الحدشة حيث ان الجسم يمتنع صدوره عن العبد لا لأجل الحدوث والامكان حتى يلزم تعميم الامتناع بل إنما امتنع صدوره عنه لأنه جسم والجسم لا يؤثر في الجسم حيث ان المؤثر لابد وأن يكون أقوى وأسبق من المتأثر فالمجرد يؤثر في الجسم لا الجسم حتى ان التصرف في الجسم في معجزة النبي أو الولي في مثل شق القمر ورد الشمس وجعل حيوان الذكر انثى وبالعكس وجعل الميت حياً وبالعكس وأمثال ذلك يكون من الله واذنه بعد دعاء النبي أو الولي وان الله تعالى لا يرد دعائهما بواسطة قربهما إلى ساحة الربوبية فلا ملازمة بين عدم كون العبد موجداً للجسم وبين عدم كونه موجداً لفعل نفسه بل يكون موجداً لفعل نفسه ولا يمكن له ايجاد الجسم . وقد استدل الاشعري ثانياً بآيات من الكتاب قد أسند فيها الفعل إلى الله تعالى وانه واقع بارادته ومشيته منها قوله تعالى في سورة الانعام : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا » . ومنها قوله في سورة الانفال : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . ومنها قوله في سورة ابراهيم : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه

في استدلال الاشاعرة الجبرية بالكتاب والجواب عنه

ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم » . ومنها قوله في سورة الدهر : « وما تشاؤن إلا أن يشاء الله » .

ولكن نقول في الجواب (أولا) لهذه الآيات تأويل عام وهو ان الفعل يجوز أن يستند إلى ماله مدخل في الجملة ولا شك ان الله تعالى مبدء لجميع الممكنات ينتهي اليه الكل فلهذا السبب جاز استناد أفعال العباد اليه . وبالجملة كلما حصل القطع من دليل نقلي مثل القطع الحاصل من إجماع جميع الشرايع على حدوث العالم زماناً فلا يجوز أن يحصل القطع على خلافه من دليل عقلي مثل استحالة تخلف الأثر عن المؤثر ولو حصل منه صورة برهان كانت شبهة في مقابلة البديهة حيث لا يمكن حصول قطعين في موضوع واحد على خلاف الآخر وكلما حصل القطع من دليل عقلي فلا يجوز أن يعارضه دليل نقلي وان وجد ماظاهره المعارضة فلابد من تأويله ان لم يمكن طرحه كما في المقام حيث انه على الجبر يكون الفعل من الله والعقل يحكم بقبح العقاب عليه فلا بد من تأويل هذه الآيات كما مر .

و (ثانياً) هذه الآيات معارضة بآيات كثيرة أخرى منها قوله تعالى في سورة البقرة : « لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت » ومنها قوله في سورة آل عمران : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء » الآية . ومنها قوله في سورة فصلت : « فاما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » . ومنها قوله في سورة الدهر : « انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفورا » . ومنها قوله في سورة الزلزال : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . وقوله في سورة المدثر : « كل نفس بما كسبت رهينة » . الى غير ذلك من الآيات المشحونة باضافة الفعل الى العبد وانه واقع بمشيته واختياره .

و (ثالثا) يكون الترجيح مع هذه الآيات الدالة على الاختيار لأن التكليف إنما يتم باضافة الافعال الينا وكذا الوعد والوعيد والتخويف والانذار .

في استدلال الأشعري الجبري بالخبر والجواب عنه

و (ثالثا) يستدل للجبرية بما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في روضة الكافي عن أبي الصباح الكناني قال : سمعت كلاما يروى عن النبي (ص) وعن علي (ع) وعن ابن مسعود فعرضته على أبي عبد الله (ع) فقال هذا قول رسول الله (ص) أعرفه قال رسول الله (ص) : الشقي من شقى فى بطن امه والسعيد من وعظ بغيره ، إلى أن قال : ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن الحديث ولكن الاستدلال به غير صحيح حيث ان معناه ان الشقي هو من علم الله انه يكون في عاقبة أمره شقيا وإن كان بحسب ظاهر حاله فى أكثر عمره عند الناس سعيدا كما يدل على هذا المعنى ما رواه الصدوق قدس سره في كتاب التوحيد عن محمد ابن أبي عمير قال : سألت أبا الحسن موسى بن جعفر (ع) عن معنى قول رسول الله (ص) : الشقي من شقى في بطن أمه والسعيد من سعد فى بطن أمه فقال الشقي من علمه الله وهو فى بطن أمه انه سيعمل أعمال الأشقياء والسعيد من علمه الله وهو في بطن أمه انه سيعمل أعمال السعداء قلت له فما معنى قوله (ص) اعملوا فكل ميسر لما خلق له فقال ان الله عز وجل خلق الجن والانس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون فيسر كلا لما خلق له فالويل لمن استحب العمى على الهدى انتهى ، ولما توهم السائل الجبر من جواب الامام عن السؤال الأول بلحاظ عدم تخلف علم المبدء تعالى عن المعلوم سئل عن معنى قوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له حيث فهم التنافي بين كلامي الرسول (ص) وان المستفاد من الأول الجبر ومن الثانى الاختيار فأجاب الامام (ع) ودفع توهمه الجبر عن الكلام الأول بأن تعلق علم المبدء تعالى

بشيء لا يكون علة له وصدّقه بالنسبة الى الكلام الثاني وانه يكون الاختيار للانسان في فعله فالويل لمن اختار العمى على الهدى .

في إثبات الاختيار وان الافعال تقع بقدرة العبد واختياره

فالحق أن الفعل يقع بقدرة العبد واختياره وانه ليس بمجبور على فعله بل له أن يفعل وله أن لا يفعل (أولا) من جهة ان العلة الفاعلية ذات المباشرة بارادته وهي العلة القريبة ووجوده وقدرته وعلمه وإرادته لها دخل في فاعلية الفاعل ومعطي هذه الامور هوالواجب تعالى فهو الفاعل البعيد فمن قصر النظر على الأول حكم بالتفويض ومن قصر النظر على الثاني حكم بالجبر والناقد البصير ينبغي أن يكون ذا عينين فيرى الأول فلا يحكم بالجبر ويرى الثاني فلا يحكم بالتفويض كما يشير الى هذا المعنى ما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن أبي عبد الله (ع) قال لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين قال قلت وما أمر بين أمرين قال مثل ذلك مثل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية انتهى ، هذا مثال حسن لمخاطبة العامي الضعيف الذي قصر فهمه عن درك كيفية الأمر بين الأمرين تقريباً لفهمه وحفظاً لاعتقاده في أفعال العباد حتى لا يعتقد كون العبد مجبوراً في فعله ولا مفوضاً اليه اختياره .

في إثبات الاختيار

و (ثانياً) ثبوت الاختيار للنفس ذاتي لها ويكون من عوارضها الغير المنفكة كالامكان حيث ان العارض على الشيء قد يكون من لوازم ماهيته ومن العوارض الغير المنفكة عنه بحيث يتحقق ذاك اللازم بجعل الملزوم بلا احتياج الى جعل آخر كالزوجية بالنسبة الى الأربعة وقد يكون العارض من لوازم وجود الشيء لا ماهيته كالحرارة للنار حيث ان الحرارة لا تكون من لوازم ماهية النار ومفهومها بل تكون من لوازم وجودها وقد لا يكون العارض من لوازم ماهية

الشيء ولا وجوده كالعلم النظري بالنسبة الى الانسان حيث ان ايجاد ماهية الانسان لا يقتضي العلم له بل حصول العلم له يحتاج الى جعل وسبب آخر والاختيار للنفس يكون من القسم الأول فهو ذاتي لها لأن النفس تكون من مظاهر المبدء المختار ومن اظلال وجوده فكما يكون للنفس حظ من الوجود يكون لها حظ من الاختيار فالانسان بل جميع أجزاء العالم من مطلق الحيوان والنبات والجماد على حسب مراتبها الوجودية كما يكون لها حظ من الوجود يكون لها حظ من الاختيار لأن المعلول شأن من شئون العلة وظل من اظلالها .

في إثبات الاختيار

و (ثالثاً) ان الله تبارك وتعالى لايجور ولا يظلم حيث ان العبد قادر مختار في فعله وليس بمجبور عليه بل له أن يفعل وله أن لا يفعل وذلك أمر وجداني بديهي يفهمه الانسان بأدنى تأمل فلو لم يكن العبد قادراً موجداً لفعله معاذاً بالله لكان المبدء تعالى أظلم الظالمين حيث ان الفعل القبيح اذا كان صادراً من الله تعالى استحالت معاقبة العبد عليه لأنه لم يفعله لكن المبدء تعالى يعاقبه اتفاقا فيكون معاذاً بالله ظالما تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فيكون العبد قادراً مختاراً في فعله إن خيراً فخير وإن شراً فشر فيجب على كل مكلف الاعتقاد بعدالة الباري تعالى وانه لا يجوز عليه عز اسمه الاخلال بالواجب وارتكاب الظلم تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا لأن الاخلال بالواجب وارتكاب الظلم قبيح وصدور القبيح من الواجب تعالى محال بحكم العقل فالباري تعالى لا يخل بالواجب حيث ان الواجب عليه في الدنيا بحكم العقل هو بعث الرسل لهداية الناس وإرشادهم وبيان التكاليف وقد فعل ذلك ووجه وجوب بعث الرسل عليه هو انه خلق في العبد الشهوات والميل الى القبايح والنفرة عن الحسن والتأبي فلو لم يقرر عبده ويكلفه بوجوب الواجب وقبح القبيح ويعده ويتوعده لكان الله تعالى ملقياً له بالقبيح والالقاء

بالقبيح قبيح منه والواجب عليه فى الآخرة اعطاء المستحق حقه من الخير والشر بأن يثيب على الحسنة الحسنة ويعاقب على السيئة السيئة فقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها يكون من باب التفضل وقد روى عن سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام قال التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه انتهى يعني التوحيد هو أن لا تتوهمه حيث انه شيء بخلاف الأشياء فما وقع وهمك عليه فهو خلافه والعدل هو أن لا تتهمه بصدور القبيح والظلم منه وروى عن كاشف أسرار الحقايق جعفر بن محمد الصادق (ع) قال أما التوحيد فان لا تجوّز على ربك ما جاز عليك وأما العدل فان لا تنسب الى خالقك ما لامك عليه انتهى يعني التوحيد هو أن لا تجوز على ربك بوجود مثل محقق أو فرضي له حيث انك مركب محسوس وحقيقتك معلومة يجوز أن يكون لك وجود مثل محقق أو فرضي بخلاف الواجب تعالى حيث انه مجرد لا يمكن لك العلم بكنه ذاته وحقيقته فلا يمكن لك تصور المثل له وأما العدل فهو أن لا تنسب الى خالقك القبيح والظلم الذي إذا صدر منك لامك عليه وبالجملة لا يجوز على الله تعالى الاخلال بالواجب وارتكاب الظلم حيث انه عادل وليس بظالم ويكفي في إثبات عدالته غناه من الظلم وجمعه لصفات الكمال وتنزيهه عن ذميم الخصال وقد ذم الظلم وأهله وأمر بفعل الأفعال المرضية ونهى عن الأخلاق الردية .

في بطلان مقالة المفوضة

وقد ظهر مما ذكر بطلان قول المعتزلة المفوضة الذين يقال لهم القدرية أيضاً وهم المنسبون الى القدر ويزعمون ان كل عبد خالق فعله ولا يرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشيته فنسبوا الى القدر لأنه بدعتهم وضلالتهم وفى شرح المواقف قيل القدرية هم المعتزلة لاستناد أفعالهم الى قدرتهم .

ويستدل لهم بخبر سماعة عن أبي عبد الله (ع) قال ان الله عز وجل فوّض الى المؤمن اموره كلها ولم يفوض اليه أن يذل نفسه ألم تسمع لقول الله عز وجل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فالمؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلا يعزه الله الايمان والاسلام .

ووجه بطلان قولهم وعدم صحة الاستدلال لهم بهذا الخبر .

(أولا) من جهة ان المراد من تفويض الامور الى المومن هو تفويضه في المباحات بمعنى أن الله تبارك وتعالى لم يحاسبه على تناولها وهو من قبيل اذن المؤمن في كل شيء إلا في اذلال نفسه بقرينة ما رواه يونس بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله (ص) من زعم ان الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ومن زعم ان الخير والشر بغير مشية الله فقد اخرج الله من سلطانه ومن زعم ان المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار وما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن أبي عبد الله (ع) انه سأله رجل أجبر الله العباد على المعاصي قال لا فقال ففوض اليهم الله قال لا قال فماذا قال لطف من ربك بين ذلك انتهى لم يرد (ع) باللطف معناه العرفي المشهور وهو ما يقرب العبد الى الطاعة ويبعده عن المعصية بل أشار به الى دقة المعنى وغموضته وكونه بحيث يلطف ادراكه عن العقول والافهام وأراد بقوله بين ذلك انه أمر بين الجبر والتفويض وهو أن الأسباب القريبة للفعل ترجع الى قدرة العبد والأسباب البعيدة كالآلات والأسباب والأعضاء والجوارح والقوى الى قدرة الرب تعالى فالفعل يحصل بمجموع القدرتين وإنما لم يبين الامام (ع) الأمر بين الأمرين لأنه كان يعلم انه لا يدركه عقل السائل فيشك فيه أو يجحده فيكفر وما رواه الكليني

قدس سره عن أبي عبد الله (ع) قال سئل عن الجبر والقدر فقال لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق التي بينهما لا يعلمها إلا العالم أو من علمها إياه العالم انتهى لم يرد (ع) بقوله لا جبر ولا قدر إن فعل العبد خال عن الجبر والاختيار ولا بقوله ولكن منزلة بينهما ان فيه شيئاً ضعيفاً من الجبر وشيئاً ضعيفاً من الاختيار ولا أيضاً ان فيه تركيباً بين الجبر والقدر ناقصين كانا أو تامين كالمركب من الحلاوة والحموضة بل المراد ان العبد مجبور في قدرته قادر في مجبوريته مضطر في عين اختياره مختار في عين اضطراره والفعل ثابت له من حيث هو ثابت لله وانه صادر منه من حيث هو صادر من الله فقوله لا جبر ولا قدر أي لا جبر مجرداً عن القدر ولا قدر مجرداً عن الجبر وهكذا معنى قوله تعالى ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى أي مارميت رمياً لم يكن الله رماه حين ما رميت رمياً كان الله راميه وقوله ولكن الله رمى أي ولكن الله رمى مارميته حيث أن هذه الآية الشريفة واردة في غزوة بدر حيث أخذ رسول الله كما في الخبر كفاً من حصى فرمى به في وجوه قريش وقال شاهت الوجوه فبعث الله رياحاً تضرب في وجوه قريش فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا فأثبت الرمي لرسول الله لأنه وجد منه صورة ونفاه عنه معنى لأن أثره الذي لا يدخل في قدرة البشر فعل الله سبحانه فكأنه فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول .

(وثانياً) التفويض باطل وإلا لم يحصرهم الشارع بالأمر والنهي كما رواه يونس بن عبد الرحمن عن أبي عبد الله (ع) قال قال له رجل جعلت فداك أجبر الله العباد على المعاصي قال الله أعدل من أن يجبرهم على المعاصي ثم يعذبهم عليها فقال له جعلت فداك ففوض الله الى العباد قال فقال لو فوض اليهم لم

يحصرهم بالأمر والنهي فقال له جعلت فداك فبينهما منزلة قال فقال نعم أوسع ما بين السماء والأرض انتهى قوله لم يحصرهم بالحاء والضاد والراء المهملات أي لم يمنعهم وقوله نعم أوسع ما بين السماء والأرض كناية عن كون القول بالمنزلة بين الجبر والتفويض في الصحة والصدق بحيث لا حرج فيه وإن القائل به في مندوحة وسعة أوسع من السعة التي مما بين السماء والأرض .

(الثاني) من اصول الايمان التي يكون الاعتقاد بها موجباً لصحة العمل والنجاة في الآخرة بالفوز بالجنة والنجاة من النار .

في الامامة

الامامة يعني يجب الاعتقاد بامامة الأئمة عليهم السلام ويكفي في ذلك الاقرار بالأئمة الاثنى عشر والاعتقاد بعصمتهم عن الخطأ والزلل ووجوب طاعتهم لأخبار كثيرة متواترة .

(منها) ما روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن ابن اذينه عن الباقر أو الصادق عليهما السلام انه قال لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله عز وجل ورسوله والأئمة كلهم عليهم السلام وامام زمانه ويرد اليه ويسلم له ثم قال كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول انتهى يعني . امامة كل امام لاحق إنما يعرف بنص السابق عليه كيف يعرف امام زمانه وهو يجهل قدر أمير المؤمنين (ع) ومرتبته من الخلافة والامامة والوصاية فالمكلف يحتاج في تحصيل ايمانه ومعرفة امام زمانه الى معرفة الأئمة كلهم .

في اسماء الأئمة الاثنى عشر ومواليدهم ووفياتهم وموضع دفنهم (ع)

(ومنها) خبر أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال سألته عن الأئمة هل يجرون في الأمر والطاعة مجرى واحد قال نعم انتهى . ونذكر اسمائهم الشريفة في هذه الرسالة تيمناً وتبركاً :

(فأولهم) علي بن أبي طالب عليه السلام المتولد في اليوم الثالث عشر

من شهر رجب المقتول في الليلة الاحدى والعشرين من شهر رمضان المدفون بالغري من نجف الكوفة واسم أبيه عبد مناف وأبو طالب كنيته وقد غلبت الكنية على الاسم كما ذكر الصدوق قدس سره في كتاب معاني الأخبار وقد يقال عمران لرواية ضعيفة فالصحيح هو الأول ، وإسم أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .

والأدلة النقلية والعقلية على خلافته بعد رسول الله (ص) كثيرة كما ذكرنا جملة منها في كتابنا الكبير نرجو من الله تعالى أن يهيء أسباب طبعه ونشير هنا الى بعض منها تيمناً بذكر فضائله .

في الاشارة الى الأدلة النقلية على امامة علي (ع)

(منها) آية أنفسنا المذكورة في قصة المباهلة في سورة آل عمران وهي قوله تعالى : ﴿ فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ الخ حيث انه باتفاق المفسرين من الخاصة والعامة منهم الشيخ ناصر بن عبد الله البيضاوي في أنوار التنزيل ان الأبناء اشارة الى الحسن والحسين عليهما السلام والنساء اشارة الى فاطمة سلام الله عليها والأنفس اشارة الى علي (ع) ولا يمكن أن يقال ان نفسها واحدة لبطلان الاتحاد فلم يبق المراد من ذلك إلا المساوي ولا شك في ان رسول الله (ص) أفضل الناس فمساويه كذلك أيضاً قال السيد المرتضى قدس سره : حدثني الشيخ أدام الله عزه قال : قال المأمون للرضا (ع) يوماً : أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين (ع) يدل عليها القرآن قال : فقال الرضا عليه السلام : فضيلته في المباهلة قال الله جل جلاله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا الخ . فدعا رسول الله (ع) الحسن والحسين فكانا ابنيه وفاطمة فكانت في هذا الموضع نسائه ودعا أمير المؤمنين

في آية أنفسنا

فكان نفسه بحكم الله عز وجل وقد ثبت انه ليس أحد من خلق الله أجل من رسول الله وأفضل فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم الله عز وجل . قال : قال المأمون الرضا (ع) : أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله (ص) إبنيه خاصة وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله (ص) ابنته وحدها فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره فلا يكون لأمير المؤمنين ما ذكرت من الفضيلة ، قال : فقال له الرضا (ع) : ليس يصح ما ذكرت يا أمير المؤمنين وذلك ان الداعي إنما يكون داعياً لغيره كما يكون الآمر آمراً لغيره ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة وإذا لم يدع رسول الله (ص) رجلا في المباهلة إلا أمير المؤمنين فقد ثبت انه نفسه التي عناها الله تعالى في كتابه وجعل كلمة ذلك في تنزيله ، قال : فقال المأمون : إذا ورد الجواب سقط السؤال انتهى . قوله (ع) : ان الداعي إنما يكون داعياً لغيره الخ ، يعني ان الداعي لابد وأن يدعو الغير ولا يعقل أن يدعو نفسه حقيقة حيث يعتبر في الدعوة تعدد الداعي والمدعو لأن الدعوة تكون من مقولة الاضافة مثل الأبوة والأخوة والاضافة تحتاج عقلا الى الطرف فالداعي إنما يكون داعياً لغيره ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة وإذا لم يدع رسول الله رجلا في المباهلة إ لا الامير المؤمنين فقد ثبت انه نفسه التي عناها الله تعالى في كتابه .

(ومنها) قوله تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ﴾ ، حيث ان المراد بالولي هنا اما الناصر أو الاولى بالتصرف إذ غير ذلك من معانيه كالجار والمعتق والحليف

وابن العم غير صالح قطعاً والأول باطل لعدم اختصاص النصرة للمؤمنين بالمذكورين في الآية فتعين المعنى الثاني والمراد بالذين آمنوا هو علي بن أبي طالب عليه السلام لاتفاق أكثر المفسرين من الخاصة والعامة من أكابر قدمائهم أبو اسحق أحمد الثعلبي على انه كان يصلي فسأله سائل فأعطاه خاتمه راكعاً وإذا كان أولى بالتصرف فينا تعين أن يكون هو الامام .

« ومنها » ما رواه الخاصة والعامة منهم : أبو اسحق أحمد الثعلبي أن النبي (ص) لما رجع من حجة الوداع أمر بالنزول بغدير خم وقت الظهر ووضعت له الأحمال شبه المنبر وخطب الناس واستدعا علياً ورفع بيده وقال : أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله (ص) ، قال : فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيف ما دار . والمراد بالمولى هنا هو الاولى بالتصرف للقرينة اللفظية حيث ان أول الخبر يدل على ذلك وهو قوله ألست أولى بكم والقرينة المقامية لأن غير الاولى بالتصرف من معانيه كالجار والمعتق والحليف وابن العم غير جائز هنا لاستحالة أن يقوم النبي (ص) في ذلك الوقت الشديد الحر ويدعو الناس ويخبرهم بأشياء لا مزيد فائدة فيها بأن يقول من كنت جاره أو معتقه أو حليفه أو ابن عمه فعلي كذلك ، وإذا كان علي هو الاولى منا فيكون هو الامام .

(ومنها) ما رواه الخاصة والعامة منهم : أبو اسحق أحمد الثعلبي انه لما نزل قوله تعالى : « وانذر عشيرتك الأقربين » أمر رسول الله (ص) أبا طالب « ع » أن يصنع له طعاما وجمع بني عبد المطلب فقال لهم : أيكم يؤازرني ويعينني فيكون أخي وخليفتي من بعدي ووصيي فقال علي « ع » :

أنا أبايعك واوازرك ، فقال رسول الله « ص » : يا علي أنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني انتهي ، ديني بكسر الدال لا الفتح لأن الفضيلة يكون في الحكم على طبق قواعد الدين وأحكامه لا في قضاء الدين حيث لا يمكن القضاء لكل أحد على طبق أحكام الدين بخلاف قضاء الدين وتدل على هذا المعنى القرينة اللفظية المتصلة وهي قوله « ص » قبل ذلك ووارثي حيث يجب على الوارث قضاء دين المورث مع وجود المال له وحينئذ ان كان الدين بالفتح كان تكراراً في الكلام والقرينة المنفصلة وهي ما روته العامة والخاصة عن النبي « ص » انه قال أقضاكم علي « ع » .

في الاشارة الى الأدلة العقلية على امامة علي صلوات الله عليه

(ومنها) انه يجب أن يكون الامام معصوما عن الخطأ لأنه حافظ الشرع فلابد من عصمته ليؤمن من الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل ولا أحد من غير علي « ع » ممن ادعى له الامامة بمعصوم اجماعا فيكون علي « ع » هو المعصوم فيكون هو الامام .

(ومنها) ان عليا كان أفضل أهل زمانه وأعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حتى باعتراف أعدائه فيكون هو الامام وألا يلزم تقديم المفضول على الفاضل وهو غير جائز سمعا وعقلا أما سمعا ، فلقوله تعالى : أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتّبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وأما عقلا فلأنه يقبح من الحكيم الخبير أن يقدم المفضول المحتاج الى التكميل على الفاضل المكمل عند العقل السليم .

في جمعه « ع » بين المتضادين

« ومنها » انه أفضل من غيره فيكون هو الامام لأنه أشرف الناس خلقاً بعد رسول الله « ص » حيث جمع بين المتضادين من حسن الخلق والشجاعة كما روي عن صعصعة بن صوحان وقيس بن سعد ولم تجتمع الحكمة

العملية يعني حسن الخلق مع الشجاعة في أحد إلا في علي (ع) . قال الحكيم الإلهي أبو علي سينا : البخاري لم يكن شجاع فيلسوفا قط إلا علي «ع» . وقال الشريف الرضي قدس سره : له عليه السلام فضائل وخصائص جمع بها بين الأضداد حيث لم يكن شجاع زاهداً إلا علي عليه السلام .

«ومنها» معجزاته وهي كثيرة :

﴿منها﴾ قلع باب خيبر ، وقد عجز عن نقلها سبعون نفساً من أشد الناس قوة مع انه كان قليل الغذاء جداً بأخشن ما كل وملبس كثير الصوم مداوم العبادة .

﴿ومنها﴾ مخاطبة الثعبان علي منبر الكوفة وسئل عنه فقال : انه كان من حكام الجن اشكل عليه مسألة أجبت عنها .

﴿ومنها﴾ رفع الصخرة العظيمة عن فم القليب وذلك لما توجه الى صفين أصابهم عطش عظيم فأمرهم فحفروا قريباً من دير فوجدوا صخرة عظيمة عجزوا عن نقلها ودحابها مسافة بعيدة فظهر الماء فشربوا ثم أعادها فنزل صاحب الدير وأسلم ، فسأل عنه ذلك ؟ فقال : بُنيَ هذا الدير على قالع هذه الصخرة ومضى من قبلي ولم يدركوه واستشهد معه بالشام .

في رجوع الشمس له عليه السلام

﴿ومنها﴾ رجوع الشمس له مرتين في حياة النبي (ص) بمسجد الفضيخ من المدينة مرة وبعد وفاته ببابل من أرض العراق مرة اخرى ، قال السيد المرتضى رضي الله عنه في شرح البائية للسيد الحميري حيث قال :

ردت عليه الشمس لما فاته (١) وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

«إن قلت» : رد الشمس لو كان لم يخف على أهل الأقطار ولدونوا ذلك في دفاترهم والحال انهم لم يكتبوا ذلك في تواريخهم .

(١) «ويروى حين فوته» .

« قلت » ﴿ أولا ﴾ : وقع رد الشمس ولكن الخفاء وعدم تدوين بعض أهل الأقطار يكون بلحاظ أن كروية الأرض مانعة لرؤية بعض أهل الأقطار .

﴿ وثانيا ﴾ : يجوز أن يحجبها الله عنهم بغيم .

﴿ وثالثا ﴾ : لا ملازمة بين عدم تدوينهم وبين عدم الوقوع بل وقع ولكن لم يكتبوا عناداً وإخفاءاً لمقام النبوة والوصاية .

في امامة سائر الأئمة عليهم السلام

(الثاني) من بعده ولده الحسن عليه السلام المتولد في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المقتول بسم زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي بأمر معاوية في السابع أو الثامن والعشرين من شهر صفر المدفون في بقيع المدينة المنورة .

(الثالث) من بعده أخوه الحسين عليه السلام المتولد في اليوم الثالث من شهر شعبان المقتول بأمر يزيد بن معاوية في اليوم العاشر من شهر محرم المدفون في كربلا وأمها فاطمة الزهراء عليها السلام المتولدة في يوم العشرين من جمادى الثانية الشهيدة في اليوم الثالث عشر من شهر جمادى الاولى على ما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي أو اليوم الثالث من شهر جمادى الثانية على ما رواه المفيد قدس سره في مسار الشيعة المدفونة في بقيع المدينة المنورة أو في بيتها .

(الرابع) من بعده ولده علي بن الحسين « ع » المتولد في اليوم الخامس عشر من شهر جمادى الاولى المقتول بأمر هشام بن عبد الملك بالسم في الثاني عشر أو الخامس والعشرين من شهر محرم المدفون في بقيع المدينة المنورة وامه امهما كما في الكافي سلامة لقبها جهان شاه ، وفي عيون اخبار الرضا « ع »

شهر بانويه بنت يزدجرد ، وفي ارشاد المفيد قدس سره شاه زنان ، فعلي ابن الحسين خيرة بين الخيرتين .

(الخامس) من بعده ولده محمد الباقر « ع » المتولد في اليوم الثالث من شهر صفر المقتول بأمر ابراهيم بن الوليد بالسم في اليوم السابع من شهر ذي الحجة المدفون في بقيع المدينة المنورة وامه فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب « ع » كنيتها أم عبد الله فما في مجمع البحرين من أن أمه كانت بنت عبد الله بن الحسن فيه سقط أو تصحيف فهو علوي بين علويين .

(السادس) من بعده ولده جعفر الصادق « ع » المتولد في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول المقتول بالسم بأمر منصور العباسي في اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال كما في جنات الخلود المدفون في بقيع المدينة المنورة وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر .

(السابع) من بعده ولده موسى الكاظم « ع » المتولد في اليوم السابع من شهر صفر المقتول بسم السندي بأمر هارون الرشيد في اليوم السادس أو الخامس والعشرين من شهر رجب على الأشهر المدفون في بغداد في مقابر قريش وأمه جارية اسمها حميدة البربرية .

(الثامن) من بعده ولده علي الرضا « ع » المتولد في اليوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة المقتول بالسم بأمر مأمون الرشيد في آخر شهر صفر على الأشهر المدفون في سناباد طوس من ارض خراسان وأمه جارية اسمها نجمة وكنيتها ام البنين .

(التاسع) من بعده ولده محمد الجواد « ع » المتولد في اليوم العاشر من شهر رجب المقتول بسم زوجته أم الفضل بنت مأمون الرشيد في آخر شهر

ذي القعدة بأمر المعتصم العباسي المدفون في بغداد في مقابر قريش وامه جارية اسمها سبيكة النوبية ، وقيل : خيزران .

(العاشر) من بعده ولده علي الهادي « ع » المتولد في اليوم الخامس عشر من شهر ذي الحجة المقتول بالسم بأمر المعتز العباسي في اليوم الثالث من شهر رجب المدفون في سامراء وامه جارية اسمها سمانة ، وقيل : سوسن .

(الحادي عشر) من بعده ولده الحسن العسكري « ع » المتولد في اليوم الثامن أو العاشر من شهر ربيع الثاني المقتول بالسم بأمر المعتمد العباسي في اليوم الرابع أو الثامن من شهر ربيع الاول المدفون في سامراء وامه جارية اسمها شكل النوبية ، ويقال : سوسن المغربية ، ويقال : حديث بالتصغير .

في الامام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه وفي سنة ولادته وفي معنى الغيبة الصغرى والكبرى

(الثاني عشر) من بعده ولده محمد صاحب العصر والزمان خليفة الله في عباده ، وأمينه في بلاده ، قائم آل محمد أرراحنا وأرواح العالمين فداه المتولد في سامراء ليلة الجمعة منتصف شهر شعبان من شهور سنة يؤرخها نور وكان بدء غيبته الصغرى في السنة الخامسة من عمره في السنة التي قبض ابوه فيها الى اول غيبته الكبرى وهو السنة التي مضى فيها علي بن محمد السمري آخر نواب الغيبة الصغرى يعني السنة الثامنة والعشرين بعد الثلثمائة هجرية ، فمدة غيبته الصغرى كانت ثمانية وستين سنة ، ومعنى الغيبة الصغرى هو انه رآه بعض النواب الخاصة فيها بنحو المتعارف بخلاف الغيبة الكبرى ، فما صدر من توقيعه الشريف في الغيبة الكبرى بأن من يزعم انه رآه فهو كاذب لعل المراد منه ادعاء الرؤية بنحو النيابة الخاصة لا مطلق الرؤية ، كيف وقد رآه وعرفه الجمّ الغفير ممن لا يرتاب في صدقه كالمنقول المتواتر نقله عن جملة من العلماء منهم : شيخنا المفيد قدس سره حيث حكي انه افتى سهواً في امرأة

ماتت وهي حبلى بشق جانبها الايمن لاخراج الولد ثم التفت وسأل عنها ، فقيل له : قد شق جانبها الايسر واخرج الولد وهو حي . فقال : من افتاكم بذلك ؟ فقيل له : جاءنا من اخبرنا عنك بأن الذي يشق هو الجانب الايسر فعرف ان ذلك من تسديدات الحجة عجل الله تعالى فرجه والمولى ملا احمد الاردبيلي قدس سره حيث انه رآه في مسجد الكوفة وسيد العلماء السيد مهدي الطباطبائي قدس سره حيث حكى ان ما شخصه السيد من بقاع المقامات التي في مكة ومسجد الكوفة والنجف كلها كانت باشارته عجل الله تعالى فرجه وامه جارية اسمها نرجس وهؤلاء هم العترة الطاهرة وفقنا الله لطاعتهم وحشرنا في زمرتهم .

في سبب اخفائه عجل الله تعالى فرجه

﴿ واعلم ﴾ ان الامام الثاني عشر اعني محمد بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه حي موجود من حين ولادته وهي سنة ست وخمسين ومأتين كما مرّ الى آخر زمان التكليف وسبب اخفائه اما لمصلحة وحكمة استأثر الله واستبد بعلمها او لكثرة العدد وقلة الناصر حيث انه كما ان وجود الامام لطف من جهة انه موجب لبقاء العالم لان العالم عالم الاسباب كما يدل عليه خبر ربعي بن عبد الله عن ابي عبد الله « ع » انه قال : ابى الله ان يجري الاشياء إلا بالاسباب فجعل لكل سبب شرحا ، وجعل لكل شرح علما ، وجعل لكل علم بابا ناطقا عرفه من عرفه ، وجهله من جهله ذلك رسول الله « ص » ونحن انتهى . فكما ان العالم يحتاج في حدوثه الى العلة كذلك يحتاج في بقائه الى العلة كما يدل عليه ما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن السجاد « ع » قال : لولا ما في الارض منا لساخت بأهلها . وروي في الكافي عن الباقر « ع » قال : لو ان الامام رفع من الارض ساعة لماجت بأهلها كما

يموج البحر بأهله . وروي في الكافي عن الامام الصادق «ع» قال : لو بقيت الأرض بغير امام لساخت بأهلها . وروى في الكافي عن الرضا «ع» قال : لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلهـا انتهى . يعني انخسفت بأهلها وذهبت بهم وبالجملة كما ان وجود الامام لطف من جهة انه موجب لبقاء العالم لأن العالم كما يحتاج في حدوثه الى العلة كذلك يحتاج في بقائه الى العلة كذلك تصرفه . لطف آخر وحكمته تعالى وعصمته عليه السلام لا يجوز معهما منع اللطف والتصرف فلا يكون سبب اخفائه من الله ولا من الامام ، بل يكون سبب اخفائه من الرعية لعدم مساعدتهم ونصرتهم له .

واستبعاد بقائه في عالم الطبيعة بل عدم امكانه باطل .

«اولا» من جهة ان بقـائه عليه السلام أمر ممكن ، حيث ان نفس الامام تكون أكمل النفوس وموضوعها ، وهو البدن المركب من العناصر لابد وأن يكون أعدل الامزجة لأجل قاعدة التناسب ، فقوة نفسه مانعة عن غلبة بعض العناصر على البعض الآخر فلا يعرض عليه الموت إلا بالعوارض الخارجية كما (يدل) على هذا المعنى ما روى عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي في كتابه الموسوم بالغرر والدرر عن سيد الموحـدين أمير المؤمنين «ع» انه سئل عن العـالم العلوي فقـال : صور عارية عن المواد ، خالية عن القوة والاستعداد ، تجلى لها ربها فأشرقت ، وطالعها فتلألأت ، وألقى في هويتها مثاله ، فأظهر عنها أفعاله ، وخلق الانسان ذا نفس ناطقة ، ان زكاها بالعلم والعمل ، فقد شابهت جواهر أوايل عللها ، واذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد انتهى . قوله : وخلق الانسان ذا نفس ناطقة الخ معناه : انه إذا زكاها بالعلم والعمل شابهت العقل الفعال لأنه هو أول عللها

في دفـع استبعاد بقائه عجل الله تعالى فرجـه

فتشابه جوهره في ملازمة طاعة الله والتقوى وعدم الغفلة عن ذكره وربما شابهته في انفعال كثير من الاشياء لها بنسبة رتبتها كما جرى لنفوس الانبياء فاذا اعتدل مزاجها ظاهراً وباطناً وفارقت الاضداد بحيث ما ترى إلا الله ، ولم تخف إلا الله ، ولم ترج إلا الله ، وهكذا . يعني لم يجد سواه تعالى في كل حال ، فقد كانت علة وجود جميع الاشياء وصح هذا في محمد وأهل بيته الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين خاصة . كما (يدل) أيضاً على اعتدال مزاجه « ع » من العناصر فلا يعرض عليه الموت إلا بالعوارض الخارجية ما روي ان بعض اليهود اجتاز بعلي عليه السلام وهو يتكلم مع جماعة فقال له : يا بن أبي طالب لو انك تعلمت الفلسفة لكان يكون منك شأن من الشان ، فقال « ع » : وما تعنى بالفلسفة ؟ أليس من اعتدل طباعه صفا مزاجه ، ومن صفا مزاجه ، قوى أثر النفس فيه ، ومن قوى أثر النفس فيه ، سما الى ما يرتقيه ومن سما الى ما يرتقيه ، فقد تخلق بالاخلاق النفسانية ، ومن تخلق بالاخلاق النفسانية فقد صار موجوداً بما هو إنسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان ، ومن صار موجوداً بما هو إنسان فقد دخل في الباب الملكي الصور وليس له عن هذه الغاية مفر . فقال اليهودي : الله أكبر يابن أبي طالب ، لقد نطقت بالفلسفة جميعها في هذه الكلمات رضي الله عنك انتهى . (فما يظهر) من كلام المعلم الثاني أبي نصر الفارابي ، والشيخ الرئيس ابن سينا البخاري قدس سرهما من عدم وجود المتعادل الحقيقي بل عدم امكانه لان أجزاء المتعادل متساوية في الميل الى احيازها الطبيعية متقاومة فلا يقسر بعضها بعضاً على الاجتماع لامتناع أن يغلب بعض من الامور المتقاومة بعضاً آخر منها وطبايعها داعية الى الافتراق بالتوجه الى احيازها الطبيعية المختلفة فيحصل الافتراق قبل حصول الفعل والانفعال فانه

يستدعي مدة لانه حركة من كيفية الى اخرى فلا يحصل بينها لتوقفه على حصول تلك الحركة وحدوثه بعد انقطاعها . « اجتهاد » في مقابلة النص ولعلهما لم يجدا الخبرين الزبورين ولعل قوله تعالى : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ . في آية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين اشارة الى ما ذكر ، وإن التركيب بين العناصر المتضادة بنحو الاعتدال وغيره لا يكون إلا من فعل الله تبارك وتعالى .

« وثانيا » إن الوقوع أدل دليل على الامكان وقد وقع في الازمنة السالفة في حق الاشقياء والسعداء ما هو أزيد من عمره عجل الله تعالى فرجه حيث ان عوج بن عناق كان جباراً ، عدواً لله وللاسلام ، وله بسطة في الجسم والخلق ، وكان يضرب يده فيأخذ الحوت من أسفل البحر ثم يرفعه الى السماء فيشويه في حر الشمس فيأكله ، وكان عمره ثلاثة آلاف وستمائة سنة . روي انه لما أراد نوح « ع » أن يركب السفينة جاء اليه عوج وقال له : إحملني معك . فقال نوح « ع » : إني لم اؤمر بذلك فبلغ الماء ركبتيه وما جاوزها فبقي الى أيام موسى « ع » فقتله .

« والفرس » تزعم أن فيما تقدم من ملوكها جماعة طالت أعمارهم فيرون أن الضحاك صاحب الحيتين عاش الف سنة ومائتي سنة بعد جمشيد الملك ، وكان من العرب وكان ضاحكا ، وضحاك مبالغة . قال في المصباح : وبه سمي الضحاك بن مزاحم . يقال : حملته امه أربع سنين . وقيل : ستة عشر شهراً وهو مستقرب ، وإنما يقال له صاحب الحيتين لانه كان على كتفيه صورة الحية . في ذكر بعض المعمرين

ويقولون : جمشيد الملك الذي أحدث المهرجان يعني عيد النيروز وهو

أول يوم من السنة عند الفرس عند نزول الشمس الحمل عاش الف سنة وخمسمائة سنة .

وأفريدون العادل ابن جمشيد عاش فوق الألف سنة وأدرك موسى ابن عمران (ع) .

وفي الحديث عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام عاش نوح عليه السلام الفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسون قبل أن يبعث والف سنة إلا خمسين عاماً في قومه يدعوهم ، وسبعمائة بعد نزوله من السفينة ، ونضب الماء (١) ، ومصّر الأمصار ، وأسكن ولده في البلدان ، ثم ان ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال : السلام عليك ، فرد عليه السلام . وقال له : ما جاء بك يا ملك الموت ؟ قال : جئت لأقبض روحك . فقال له : تدعني أتحول من الشمس الى الظل ؟ فقال : نعم . فتحول نوح عليه السلام فقال : يا ملك الموت كان ما مرّ بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس الى الظل ، فامض لما أمرت به انتهى .

وقد عاش عزيز مصر واسمه قطفير ملك يوسف (ع) سبعمائة سنة ، وقد آمن بيوسف ، ومات في حياته ، وكان ملك مصر بعد العزيز قابوس بن مصعب ، وعاش أربعمائة سنة ، وكان أول زمان قابوس آخر زمان يوسف عليه السلام ، وقابوس هو فرعون موسى بن عمران «ع» ، وعاش والد العزيز وهو الريان الف وسبعمائة سنة ، وهو الذي بنى الأهرام والبرابي والهرمين ، وعاش والد الريان وهو دومغ ثلاثة آلاف سنة وكان من أحفاد سام بن نوح «ع» . وفي الحديث سئل أبو عبد الله «ع» عن الريان من

(١) ونضب الماء : أي غوره في الأرض .

هو كان ؟ قال : هو والد العزيز ملك يوسف «ع» واسمه الريان بن دومغ وقد كان عمر العزيز سبعمائة سنة ، وعمر الريان والده الف وسبعمائة سنة ، وعمر دومغ ثلاثة آلاف سنة الحديث .

ولقمان الحكيم ابن أخت أيوب النبي «ع» أو ابن خالته ، قيل : عاش الف سنة وأدرك داود «ع» وأخذ عنه العلم . وروي أن لقمان الحكيم عاش ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة سنة ، وكان من ولد عاد الذين بعثهم قومهم الى الحرم ليستسقوا لهم وادريس النبي «ع» وهو اخنوخ أحد أجداد نوح عليه السلام حي رفعه الله الى السماء بعد ثلثمائة وخمس وستين سنة وقد أنزل الله ثلاثين صحيفة عليه ، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ، وكانوا يلبسون الجلود ، وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب . قال ابن أبي أصيبعة الخزرجي في عيون الأنباء : هو هرمس الأول والمثلث بالنعم ، وأول من بنى الهياكل ومجّد الله فيها ، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه وأول من أنذر بالطوفان ، وعيسى بن مريم «ع» حي رفعه الله الى السماء والخضر «ع» صاحب موسى «ع» ابن خالة الاسكندر الرومي الملقب بذي القرنين واسمه يليا بن ملكان بن عامر بن ارفخشد بن سام بن نوح «ع» الملقب بالخضر . وقيل : اسمه ارميا بن حليقا من سبط هرون ، وقيل : اسمه ايليا بن عاميل بن شماخين بن اريا بن علقما بن عيص بن اسحق بن ابراهيم «ع» ولكن الأصح هو الأول ، وإنما لقب بالخضر لما روى الصدوق قدس سره في علل الشرائع عن الصادق «ع» انه قال : ان الخضر كان نبياً مرسلا بعثه الله تبارك وتعالى الى قومه فدعاهم الى توحيده والاقرار بأنبيائه ورسله وكتبه وكانت آيته انه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء

إلا أزهرت خضرا ، وإنما سمي خضراً لذلك الحديث . وإنما سمي ذو القرنين بذى القرنين لما ورد عن الصادق عليه السلام ان ذى القرنين بعثه الله الى قومه فضرب على قرنه الأيمن فأماته الله خمسمائة عام ثم بعثه الله اليهم بعد ذلك ، فضرب على قرنه الأيسر فأماته الله خمسمائة عام ثم بعثه اليهم بعد ذلك فملكه مشارق الأرض ومغاربها من حيث تطلع الشمس الى حيث تغرب ، وهو قوله : ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس ﴾ الآية . ولما ورد عن أمير المؤمنين (ع) انه سئل عن ذي القرنين أ نبياً كان أم ملكاً ؟ فقال : لا نبياً ولا ملكاً ، عبد أحب الله فأحبه ، ونصح لله فنصح له ، فبعثه الى قومه فضربوه على قرنه الأيمن فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب ، ثم بعثه الثانية فضربوه على قرنه الأيسر فغاب عنهم ما شاء الله ، ثم بعثه الثالثة فمكن الله له فى الأرض وفيكم مثله انتهى . يعني نفسه لأنه ضرب على رأسه ضربتين يوم الخندق . وقيل : سمي بذلك لأنه كان ذا ضفيرتين أي العقيصتين والضفيرة فى لغة العرب يقال لها القرن . وقيل : لأنه بلغ قطري الأرض ، أي صار ملكاً على الروم والفارس . وقيل : لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي . وقيل : لأنه دخل النور والظلمة . وقيل : غير ذلك ، ولكن الأصح هو الأول . وولد الاسكندر وابن خالته الخضر (ع) في ليلة واحدة وكان الاسكندر حياً الى الفترة بعد عيسى بن مريم (ع) أعطاه الله العلم والحكمة وملّكه الأرض ، وكان الخضر (ع) على مقدمة جيش ذي القرنين ، وبالجملة الخضر (ع) والياس النبي الذي هو من أسباط هرون أخي موسى بن عمران عليه السلام ، كما فى دلائل الامامة لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المقدم زمانه على الشيخ الطوسي : باقيان يسيران في الأرض ، وفي خبر أبي بصير

وأبان بن تغلب عن الصادق (ع) قالا : قال : وأما العبد الصالح الخضر (ع) فان الله تبارك وتعالى ما طوّل عمره لنبوة قدّرها له ولا لكتاب ينزله عليه ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبلها من الأنبياء ولا لامامة يلزم عباده الاقتداء بها ، ولا لطاعة يفرضها له ، بلى إن الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم (ع) في ايام غيبته ما يقدّر ، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول طول عمر العبد الصالح من غير سبب أوجب ذلك ، إلا لعلة الاستدلال به على عمر القائم (ع) وليقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة انتهى .

وأصحاب الكهف حيث مضى لهم فيما تضمنه القرآن ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً وهم أحياء كالنيام بغير طعام وشراب وبقوا الى زمن النبي (ص) حيث بعث الصحابة ليسلموا عليهم ويستيقظون مرة ثالثة في زمن ظهور الامام عليه السلام ، ثم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة كما رواه جماعة منهم : الثعلبي في تفسيره ، والشيخ المفيد في الاختصاص ، وسعيد بن هبة الله الراوندي في الخرايج والجرايح . قال : روي عن شريك بن عبد الله وهو يومئذ قاض ان النبي (ص) بعث علياً (ع) وأبا بكر وعمر الى أصحاب الكهف ، فقال : إئتوهم فابلغوهم مني السلام ، فلما خرجوا من عنده قال أبو بكر لعلي : أتدري أين هم ؟ فقال : ما كان رسول الله (ص) يبعثنا الى مكان إلا هدانا الله له . فلما أوقفهم على باب الكهف قال : يا أبا بكر سلم فانك أسننا ، فسلم فلم يجب . ثم قال : يا أبا حفص سلم فانك أسن مني ، فسلم فلم يجب ، قال : فسلم علي (ع) فردوا السلام وحيوه ، وأبلغهم سلام رسول الله (ص) فردوا عليه ، فقال أبو بكر : سلهم ما لهم سلمنا عليهم فلم

يجيبوا ؟ قال : سلهم أنت ، فسألهم فلم يكلموه ، ثم سألهم عمر فلم يكلموه ، فقالا يا ابا الحسن سلهم انت فقال علي (ع) إن صاحبي هذان سئلاني ان اسئلكم لم رددتم علي ولم تردوا عليهما . قالوا انا لا نكلم إلا نبياً أو وصي نبي انتهى : وأصحاب الكهف يعني كهف جبل قريبة الرقيم كانوا من أشراف الروم في زمن دقيانوس بن خلانوس ، وكان دقيانوس ملكاً جباراً ، كان على بقايا ممن كان على دين المسيح (ع) وكان يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت ، وكان يدعو أهل مملكته الى عبادة الأصنام فمن لم يجبه قتله وكان في زمن الفترة ، يعني انقطاع الرسل بين عيسى (ع) ومحمد (ص) والفترة بين عيسى (ع) ومحمد (ص) على ما نقل ستمائة سنة وأصحاب الكهف كانوا مسلمين على دين عيسى ، وأراد دقيانوس منهم الشرك فأبوا وهربوا بدينهم منه ، وكانوا من قريه الرقيم على الأصح الواقعة بين غضبان وايلة دون فلسطين ، وهي قريبة من ايلة الشام .

في الاشارة الى الدليل على امامة باقي الائمة الأحد عشر عليهم السلام

وامامة هؤلاء الأئمة الأحد عشر ثابتة بوجوه :

﴿ الاول ﴾ تنصيص النبي صلى الله عليه وآله بالنقل المتواتر من الخاصة والعامة في أخبار كثيرة على امامة كل واحد من هؤلاء منها روي عنه ﴿ ص ﴾ متواتراً انه قال للحسين (ع) : هذا إبني امام ابن امام أخو امام أبو أئمة تسعة ، تاسعهم قائمهم . ومنها ما روى المخالف عن مسروق قال : بينا نحن عند عبد الله بن مسعود إذ يقول : لنا شاب هل عهد اليكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة ؟ قال : إنك حدث السن ، وإن هذا ما سألني أحد عنه . نعم عهد الينا نبينا ﴿ ص ﴾ أن يكون بعده اثنى عشر خليفة عدد نقباء بني اسرائيل ومنها ما رواه الشيخ سليمان الحنفي في كتاب ينابيع المودة عن جابر بن عبد الله

في معنى العصمة وآية التطهير

الانصاري قال : قال رسول الله ﴿ ص ﴾ : أنا سيد النبيين ، وعلي سيد الوصيين وإن أوصيائي من بعدي اثنا عشر ، أولهم علي ، وآخرهم القائم المهدي . ومنها ما رواه جابر بن عبد الله الانصاري قال : قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ . قلت : يا رسول الله عرفنا الله فأطعناه وعرفناك فمن أولي الأمر الذي أمرنا الله بطاعتهم ؟ قال : هم خلفائي يا جابر ، وأولياء الامر بعدي أولهم أخي علي ثم من بعده الحسن ولده ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي وستدركه يا جابر فاذا أدركته فاقرئه مني السلام ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم محمد بن الحسن يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً .

﴿ الثاني ﴾ يجب أن يكون الامام معصوما والعصمة أمر خفي لا يعلمها إلا الله تعالى فيجب أن يكون نصبه من قبله تعالى لانه العالم بالشرط دون غيره وغيرهؤلاء ليسوا بمعصومين فتعينت العصمة لهم وإلا لزم خلو الزمان عن المعصوم وذلك غير ممكن . كما روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن الرضا (ع) قال : لو خلت الارض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها ويدل على اعتبار العصمة فيهم عليهم السلام . قوله تعالى في سورة الاحزاب : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ . توضيح ذلك يتوقف على بيان مقدمة وهي ان الارادة على قسمين تشريعية وتكوينية والفعل في أفق الخارج في الارادة التشريعية متوقف على ارادة الانسان واختياره بخلاف الارادة التكوينية لعدم كون الفعل في ذلك متوقفاً على ارادة الانسان واختياره إذا علم ذلك . فاعلم إن هذه الآية الشريفة تدل على عصمتهم

عليهم السلام حيث ليس المراد من ارادة الله لا ذهاب الرجس عن أهل البيت إنه تعالى أراد منهم فعل الطاعات واجتناب المعاصي بالارادة التشريعية لان هذه الارادة حاصلة مع جميع المكلفين ولا اختصاص لأهل البيت في ذلك فلا يصح حمل الارادة على الارادة التشريعية حيث لا يكون لهم فضيلة على غيرهم ، بل المراد إنه تعالى أذهب عنهم الرجس بالارادة التكوينية بأن فعل لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع من القبايح لانه تعالى كوّن نفوسهم وأرواحهم في أعلى درجة الكمال وكوّن أبدانهم من العناصر على وجه الاعتدال لاجل قاعدة التناسب بين الارواح والابدان . فاللطف وصف نفساني لازم لنفوسهم الكاملة بحسب الماهية بحيث لا يمكن فكه عن وجوداتهم النورية كما صرح بذلك شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي والعلامة المجلسي قدس سرهما حيث أن وجودات الاشياء مختلفة من حيث اختلاف الهيولى والماهية .

ان قلت : بعد أن تكون إرادة إذهاب الرجس عنهم عليهم السلام تكوينية يلزم ان يكون علو مقامهم مترتباً على الامر الغير الاختياري فلا يكون لهم فضيلة على غيرهم .

قلت : يكون لهم الفضيلة على غيرهم حيث ان علو المقام مترتب على الاقوال والافعال الاختيارية الصادرة من الامام قبل هذه النشأة من السبق بالاقرار بالربوبية على غيره من الانبياء في عالم الذر والاظلة ، يعني عالم الارواح وإطاعته للعبده تعالى في هذه النشأة كما يدل على ذلك اخبار كثيرة منها ما روى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المحتضر عن سلمان الفارسي قال : دخلت على رسول الله ﴿ ص ﴾ يوما فلما نظر إلي قال : يا سلمان إن الله عز وجل لم يبعث نبياً ولا رسولا إلا جعل له إثنى عشر نقيباً . قال : قلت : يارسول الله

لقد عرفت هذا من أهل الكتابين ، قال : يا سلمان فهل علمت من نقبائي الاثنى عشر الذين اختارهم الله للامامة من بعدي ؟ فقلت : الله ورسوله اعلم. قال : يا سلمان خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته وخلق من نوري عليا فدعاه فأطاعه وخلق من نوري ونور علي فاطمة فدعاها فأطاعته وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعا فسمانا الله عز وجل بخمسة اسماء من اسمائه فالله المحمود وانا محمد والله العلي وهذا علي والله فاطر وهذه فاطمة والله ذو الاحسان وهذا الحسن والله المحسن وهذا الحسين ثم خلق منا ومن نور الحسين تسعة ائمة فدعاهم فأطاعوا قبل ان يخلق الله عز وجل سماء مبنية وارض مدحية او هواء او ماء او ملكا او بشراً الحديث . وبالجملة مع هذه الارادة التكوينية يكون لهم الاختيار والقدرة والارادة بالنسبة الى إيجاد الافعال في افق الخارج فالعصمة لطف يفعله الله تعالى بصاحبها لا يكون معه داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية حيث انه بعد ان كون الصانع تعالى مزاجهم من العناصر على وجه الاعتدال كانت عقولهم كاملة فحينئذ قويهم النفسانية تكون مقهورة ومنقادة لعقولهم والعقول الكاملة العالمة بمعايب المعاصي لا يتحقق منها إرادة المعصية كما يومي الى هذا المعنى ما رواه الصدوق قدس سره عن محمد ابن ابي عمير قال : ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيئاً احسن من هذا الكلام في عصمة الامام فانى سألته يوماً عن الامام أهو معصوم فقال : نعم . فقلت : فما صفة العصمة فيه وبأي شيء يعرف فقال : إن جميع الذنوب اربعة اوجه لا خامس لها الحرص والحسد والغضب والشهوة فهذه منفية عنه لا يجوز ان يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه لانه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص ولا يجوز ان يكون حسوداً

الله بهذه الآية أزواج النبي (ص) وقد كذبوا وأثموا وايمن الله ولو عنى أزواج النبي (ص) لقال ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيرا ، ولكان الكلام مؤنثا كما قال اذكرن ما يتلى في بيوتكن ولا تبرجن ولستن كأحد من النساء انتهى . وقد روى العياشي عن الامام الباقر (ع) قال : ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآية ينزل أولها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء ، ثم قال : إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا من ميلاد الجاهلية انتهى . ولا ينافي هذه الآية قوله تعالى في سورة الفتح : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ . لما روى الصدوق قدس سره في العيون عن الامام الرضا عليه السلام قال : لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلثمائة وستين صنماً فلما جائهم عليه السلام بالدعوة الى كلمة الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملاء منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق فلما فتح الله عز وجل على نبيه (ص) مكة قال له يا محمد إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر عند مشركي أهل مكة بدعائك الى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس اليه فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم انتهى . قولهم إن هذا لشيء يراد ، أي هذا الأمر من حوادث الدهر يراد بنا فلا مفر له أو أن ما قصده محمد من الرياسة والترفع على العرب والعجم شيء يريده كل

لان الانسان إنما يحسد من فوقه وليس فوقه احد فكيف يحسد من هو دونه ولا يجوز ان يغضب لشيء من امور الدنيا إلا ان يكون غضبه لله عز وجل فان الله عز وجل قد فرض عليه إقامة الحدود وان لا تأخذه في الله لومة لائم ولا رأفة في دينه حتى يقيم حدود الله عز وجل ، ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله عز وجل حبب اليه الآخرة كما حبب اليه الدنيا فهو ينظر الى الآخرة كما ينظر الى الدنيا ، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح ، وطعاماً طيباً لطعام مر ، وثوباً ليناً لثوب خشن ، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية انتهى .

فالعصمة لا تنافي القدرة بل المعصوم بلحاظ خصوصيته الوجودية قادر على فعل المعصية وإلا لما استحق المدح على ترك المعصية ولا الثواب على فعل الطاعة ولبطل الثواب والعقاب في حقه فكان خارجاً عن التكليف وذلك باطل بالاجماع وبالنقل في قوله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي ﴾ . وقد روى الصدوق قدس سره في كتاب علل الشرايع عن الامام الصادق عليه السلام إن هذه الآية نزلت في النبي (ص) وأمير المؤمنين (ع) والحسن والحسين عليهما السلام وفاطمة (ع) ، فلما قبض الله عز وجل نبيه كان أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ، ثم وقع تأويل هذه الآية واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وكان علي بن الحسين (ع) ثم جرت في الأئمة من ولده الأوصياء فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله عز وجل انتهى . والقول بأن هذه الآية نزلت في أزواج النبي (ص) لأن تخصيصها بأهل البيت لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها ليس بصحيح لما روي عن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام قال : ان جهالا من الناس يزعمون انه إنما أراد

أحد وقولهم إن هذا إلا اختلاق أي كذب اخترعه .

كما يدل على اعتبار العصمة فيهم ما رواه الصدوق قدس سره في كتاب معاني الأخبار عن الصادق عن أبيه عن جده السجاد عليهم السلام قال الامام منا لا يكون إلا معصوما وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلا منصوصاً فقيل ما معنى المعصوم قال هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن والقرآن يهدي الى الامام وذلك قول الله عز وجل إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم كما يدل على ذلك ما رواه الصدوق قدس سره في الكتاب المزبور عن حسين الأشقر قال قلت لهشام بن الحكم ما معنى قولكم إن الامام لا يكون إلا معصوما فقال سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال المعصوم هو الممتنع بالله عن جميع محارم الله وقال الله تبارك وتعالى ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

في إثبات إمامة سائر الأئمة (ع) ببرهان اللم

﴿ الثالث ﴾ إن إمامة الأئمة الأحد عشر ثابتة بالبرهان اللمي الذي هو أوثق من البرهان الآني كما قال الحكيم الإلهي الحاج ملا هادي السبزواري قدس سره :

برهاننا باللم والان قسم ... علم من العلة بالمعلول لم
وعكسه إنّ ولم أسبق ... وهو باعطاه اليقين أوثق

حيث ان الكمالات النفسانية والبدنية بأجمعها موجودة في كل واحد منهم كما هو كامل في نفسه كذلك هو مكمل لغيره وذلك يدل على استحقاقه الرياسة العامة لأنه أفضل من كل واحد في زمانه ويقبح سمعاً وعقلا تقديم المرجوح والمفضول على الراجح والفاضل أما سمعاً فلقوله تعالى أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وأما عقلا

فلأنه يقبح من الحكيم الخبير أن يقدم المفضول المحتاج الى التكميل على الفاضل المكمل عند العقل السليم فيجب أن يكون كل واحد منهم أماماً كما يدل على ما ذكر خبر سليمان بن مهران عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال عشر خصال من صفات الامام العصمة والنصوص وأن يكون أعلم الناس وأتقاهم لله وأعلمهم بكتاب الله وأن يكون صاحب الوصية الظاهرة ويكون له المعجز والدليل وتنام عينه ولا ينام قلبه ولا يكون له فيء ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه انتهى ، وإنما لا يكون له فيء لعدم ضخامة جسمه وكثرة لطافته أو لأن مقام روحيته ونوريته غالبة على مقام جسميته ولذا يكون جسمه تابعاً لارادة نفسه ومندكاً في قبال ذلك في جميع الأحوال فغلبة تنوره وضيائه مانعة عن ظهور آثار الجسم ولوازمه وحدوث الفيء له نظير غلبة ضوء الكهرباء ومانعيته عن ظهور فيء الزجاجة وأما انه يرى من خلفه كما يرى من بين يديه فمن جهة انه استكشف في هذا العصر انه كما يكون للانسان من بين يديه قوة مودعة في ملتقى العصبتين المجوفتين اللتين تنبتان من غور البطنين المقدمين من الدماغ عند جوار الزائدتين الشبيهتين بحلمتي الثدي يلتيامن النابت منهما يساراً ويلتياسر النابت منهما يميناً حتى يلتقيا ويصير تجويفهما واحداً ثم ينفذ النابت يميناً الى الحدقة اليمنى والنابت يساراً الى الحدقة اليسرى فذلك التجويف الذي هو في الملتقى أودع فيه القوة الباصرة ويسمى بمجمع النور وإنما جعلت هاتان العصبتان مجوفتين للاحتياج الى كثرة الروح الحامل للقوة الباصرة بخلاف سائر الحواس الظاهرة كذلك يكون للانسان مثل هذه القوة والآلات في خلف رأسه غاية الأمر في أفراد الانسان غير الامام يكون ذلك بنحو الشانية ولا يرى من خلفه بواسطة أنه يكون عليها الغطاء والحاجب

الضخم في الامام يكون بنحو الفعلية الغير المرئية للناس بواسطة الغطاء والحاجب الرقيق فيرى الامام من خلفه كما يرى من بين يديه وهنا فوائد :

في أن إنتظار ظهور إمام الزمان (ع) من أفضل الأعمال

﴿ الاولى ﴾ هي أن انتظار ظهور إمام الزمان المهـــدي عجل الله تعالى فرجه يكون من أفضل الأعمال لأخبار كثيرة منها ما رواه الصدوق قدس سره في كتاب العيون عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عز وجل . ومنها ما رواه الصدوق قدس سره في كتاب كمال الدين عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال : انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله فان أحب الأعمـال الى الله عز وجل إنتظار الفرج ، وقال مزاولة قلع الجبـال أيسر من مزاولة ملك مؤجل واستعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، وقال الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله .

في علامات ظهوره عجل الله تعالى فرجه

﴿ الفائدة الثانية ﴾ هي أن علامات ظهوره عليه السلام كثيرة قـد أشار الى أكثرها محمد بن محمد بن النعمان الملقب بمفيد طاب ثراه في كتاب الارشاد وما رأينا عبارة أحسن وأفصح وأجمع من عبارته في مقـام الاشارة اليها فلذا نقتصر على نقل عبارته قال جائت الآثار بذكر علامات لزمان القائم المهدي عليه السلام وحوادث تكون امام قيامه وآيات ودلالات فمنها خروج السفياني وقتل الحسني ، واختلاف بني العباس في الملك ، وكسوف الشمس في النصف من رمضان ، وخسوف القمر في آخر الشهر على خلاف العادات ، وخسف بالبيداء ، وخسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وركود الشمس من عنـد

الزوال الى وسط أوقات العصر وطلوعها من المغرب ، وقتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين ، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام ، وهدم حايط مسجد الكوفة ، وإقبال رايات سود من قبل خراسان ، وخروج اليماني ، وظهور المغربي بمصر وتملكه الشامات ، ونزول الترك الجزيرة ، ونزول الروم الرملة ، وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه ، وحمرة تظهر في السماء وتنشر في آفاقها ، ونار تظهر بالمشرق طويلا وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام ، وخلع العرب أعنتها وتملكها البلاد ، وخروجها على سلطان العجم ، وقتل أهل مصر أميرهم ، وخراب الشام ، واختلاف ثلاث رايات ، ودخول رايات قيس والعرب الى مصر ، ورايات كندة الى خراسان ، وورود خيل من قبل المغرب حتى تربط بفناء الحيرة ، وإقبال رايات سود من قبل المشرق نحوها ، وبثق (١) في الفرات حتى يدخل الماء أزقة الكوفة ، وخروج الستين كذابا كلهم يدعي النبوة ، وخروج اثنى عشر من آل أبي طالب كلهم يدعي الامامة لنفسه واحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء وخانقين وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد وارتفاع ريح سوداء بها في أول النهار ، زلزلة حتى يخسف كثير منها ، وخوف يشمل أهل العراق ، وموت ذريع (٢) فيه ، نقص من الأنفس والأموال والثمرات ، وجراد يظهر في أوانه وفي

(١) البثق بتقديم الباء على الثاء بمعنى الانفجار والانشقاق .

(٢) الذريع بمعنى السريع قال فخر الدين الطريحي قدس سره وفي حديث أهل البيت أكثر من يموت من موالينا بالبطن الذريع يعني السريع وكأنه يريد الاسهال إنتهى .

غير أوانه حتى يأتي على الزروع والغلات وقلة ريع (١) مما يزرعه الناس واختلاف صنفين من العجم ، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليهم ، ومسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردة وخنازير ، وغلبة العبيد على بلاد السادات ، ونداء من السماء يسمعه أهل الأرض كل أهل لغة بلغتهم ، ووجه وصدر يظهران للناس في عين الشمس وأموات تنشرون من القبور حتى يرجعوا الى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاوجون ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل فتحيي بها الأرض بعد موتها وتعرف بركاتها ، ويزول بعد ذلك كل عاهة من معتقدي الحق من شيعة المهدي (ع) فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة فيتوجهون نحوه لنصرته كما جاءت بذلك الأخبار ومن جملة هذه الاحداث محتومة ومنها مشترطة والله أعلم بما يكون وإنما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأصول وتضمنها الأثر المنقول انتهى . قال الشيخ الجليل الشيخ علي بن عيسى الاربلي رحمه الله في كتاب كشف الغمة لا ريب أن هذه الحوادث فيها ما يحيله العقل وفيها ما يحيله المنجمون ولهذا اعتذر الشيخ المفيد رحمه الله في آخر إيراده لها والذي أراه انه إذا صحت طرقات نقلها وكانت منقولة عن النبي والامام عليهم السلام فحقنا أن نتلقى بالقبول لانها معجزات والمعجزات خوارق للعادات كانشقاق القمر ، وانقلاب العصا انتهى . وقد وقع بعض هذه الاحداث قال أخو العلامة الحلي قدس سرهما في كتاب العدد قد ظهر من العلامات عدة كثيرة مثل خراب حايط مسجد الكوفة وقتل أهل مصر أميرهم ، وزوال ملك بني العباس على يد رجل خرج عليهم من حيث بدأ ملكهم ، وموت عبد الله آخر ملوك بني العباس ، وخراب الشامات

في العلامات المحتومة والموقوفة والاشارة الى لوحي المحفوظ والمحو والاثبات

(١) الريع بالفتح فالسكون النماء والزيادة .

ومد الجسر مما يلي الكرخ ببغداد كل ذلك في مدة يسيرة وانشقاق الفرات وسيصل الماء انشاء الله الى أزقة الكوفة انتهى .

والبقية منها على طائفتين بوحي من الله تعالى بتوسيط جبرئيل (ع) الى النبي (ص) واطلاعه على كلا اللوحين من أم الكتاب والعالم العقلي والخلق الاول المسمى باللوح المحفوظ من التغيير والتبديل الذي انتهى علم ذلك الى رسول الله (ص) والمحو والاثبات والعالم النفسي والخلق الثاني الذي يمحو الله فيه تقدير الآجال والارزاق والسعادة والشقاوة وسائر الامور التي تدخل تحت تقديره ما يشاء ويثبت مكانه شيئاً آخر ثم الرسول أودع علم كلا اللوحين الى الأئمة عليهم السلام وهم اخبروا بما كان منتقشاً في الخلق الاول والنفس النبوي والعقل المحمدي (ص) وبما كان منتقشاً في المحو والاثبات والخلق الثاني لا يقال كيف يجوز إسناد البداء الى الله تعالى مع إحاطة علمه بكل شيء ازلا وابداً على ما هو عليه في نفس الامر وتقدسه عما يوجب التبدل والتغير فانه يقال جواز ذلك من جهة ان العالم عالم الاسباب حيث قدر في الازل ان يتحقق الامور بها ولا إحاطة للنفوس والقوى المنطبعة الفلكية بتفاصيل ما سيقع من الامور دفعة واحدة حيث لا تناهي لتلك الامور بل ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً مع اسبابها على نهج مستمر فقد ينتقش في تلك القوى المسخرة لله تعالى حكم وشيء بسبب من الاسباب كموت زيد مثلا بمرض كذا في يوم كذا ويكون ذلك في الواقع مشروطاً بعدم التصدق فاذا تصدق ينتقش فيها خلاف ما انتقش اولا فكل ما وجد وسيوجد فهو غير خارج عن عالم ربوبيته وقد ظهر مما ذكر سر ما قال الامام الصادق «ع» ما عظم الله بمثل البداء وقال في خبر آخر ما عبد الله بشيء مثل البداء انتهى ، لان اكثر مصالح

العباد موقوف على القول بالبداء إذ لو اعتقدوا أن كل ما قدر في الأزل فلابد من وقوعه حتماً لما دعوا الله في شيء من مطالبهم ولا خافوا منه ولا رجوا اليه ، وبالجملة والباقية من العلامات على طائفتين : طائفة منها محتومة ليست بموقوفة للبداء والاظهار بعد الاخفاء بل تقع بعد ذلك . وطائفة منها مشترطة موقوفة على عدم البداء يعني عدم الاظهار بعد الاخفاء وقد أودع النبي (ص) علم ذلك الى الوصي ، والوصي أخبر بذلك أو أخبر الوصي بتوسيط اخبار الملك ونزوله عليه كما في الخبر ان أوصياء محمد (ص) محدثون أي يحدثهم الملائكة وفيهم جبرئيل (ع) من غير معاينة . وقد روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن ابن أبي عمير عن عمر بن حنظلة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول قبل قيام القائم (ع) خمس علامات محتومات اليماني والسفياني والصيحة ، وقتل النفس الزكية ، والخسف بالبيداء . وروى محمد بن ابراهيم النعماني في كتاب الغيبة عن حمران بن أعين عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) في قوله تعالى في سورة الانعام : ﴿ ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ﴾ . قال إنهما أجلان أجل محتوم وأجل موقوف ، قال له حمران : ما المحتوم ، قال الذي لا يكون غيره ، قال وما الموقوف ، قال هو الذي لله فيه المشية . قال حمران : إني لأرجو أن يكون أجل السفياني من الموقوف فقال أبو جعفر (ع) لا والله انه من المحتوم . وروى الشيخ الجليل الشيخ علي بن عيسى الأربلي رحمه الله في كتاب كشف الغمة عن أبي حمزة قال قلنا لأبي جعفر (ع) خروج السفياني من المحتوم قال نعم ، والنداء من المحتوم وطلوع الشمس من مغربها محتوم واختلاف بني العباس في الدولة محتوم وقتل النفس الزكية محتوم وخروج القائم من آل محمد محتوم قلت وكيف يكون النداء

قال ينادي من السماء أول النهـــار إلا أن الحق مع علي وشيعته ، ثم ينادي ابليس في آخر النهار من الأرض ألا إن الحق مع عثمان وشيعته ، فعنـد ذلك يرتاب المبطلون ، قلت لا يرتاب إلا جاهل لأن منادي السماء أولى أن يقبل من منادي الأرض انتهى . وكأنه كنى بطلوع الشمس من مغربها في الرواية عن ظهوره عجل الله تعالى فرجه كما يظهر مما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن النزال بن سبرة قال خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني ثلاثاً ، فقام اليه اليه صعصعة بن صوحان فقال يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجال ، فقال له علي عليه السلام اقعد فقد سمع الله كلامك الى أن قال إن الدجال صايد بن الصيـد فالشقي من صدقه ، والسعيد من كذبه ، يخرج من بلدة يقال لها اصبهان من قرية تعرف باليهودية الى أن قال يقتله الله عز وجل بالشام على عقبة تعرف بعقبة افيق لثلاث ساعات من يوم الجمعـة على يدي من يصلي المسيح عيسى بن مريم خلفه الى أن قال بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة فلا توبة تقبل ، ولا عمل يرفع ، ولا ينفع نفساً ايمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا . ثم قال (ع) لا تسئلوني عما يكون بعد ذلك فانه عهد إلي حبيبي (ص) أن لا أخبر به غير عترتي ، فقال النزال ابن سبرة لصعصعة ما عنى أمير المؤمنين بهذا القول ، فقال صعصعة يابن سبرة إن الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم هو الثاني عشر من العترة التاسع من ولد الحسين بن علي وهو الشمس الطالعة من مغربها يظهر عند الركن والمقام يطهر الأرض ويضع ميزان العدل فلا يظلم أحد أحداً فاخبر أمير المؤمنين (ع) أن حبيبه رسول الله (ص) عهد اليه أن لا يخبر بما يكون بعـد ذلك غير

في ان طلوع الشمس من مغربها كناية عن ظهوره عجل الله تعالى فرجـه

عترته الأئمة .

﴿ الفائدة الثالثة ﴾ هي أن الله تعالى يعيد عند ظهور امام الزمان المهدي عجل الله تعالى فرجه قوماً ممن كان قد تقدم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق وعلو كلمة أهله لأن ذلك مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه ﴿ اولا ﴾ للاجماع . ﴿ وثانيا ﴾ لأخبار كثيرة منها قول أمير المؤمنين عليه السلام في خبر اصبغ بن نباته في جواب علي بن كوا ويلك إن الله عز وجل ابتلى قوماً بما كانوا من ذنوبهم فأماتهم قبل آجالهم التي سميت لهم ، ثم ردهم الى الدنيا ليستوفوا أرزاقهم ثم أماتهم بعد ذلك الخبر ، ومنها ما رواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره عن أبيه عن ابن أبي عمير عن الفضل عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ﴾ . قال ليس أحد من المؤمنين قتل إلا يرجع حتى يموت ولا يرجع إلا من محض الايمان محضاً ، ومن محض الكفر محضاً انتهى . ويظهر من دلائل الامامة لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المقدم زمانه على الشيخ الطوسي مما رواه عن سلمان عن رسول الله (ص) إن المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم كلهم يرجعون الى الدنيا . وروى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في روضة الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وكان وعداً مفعولا ﴾ قال خروج القائم ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾ خروج الحسين في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهبة لكل بيضة وجهان المؤدون الى الناس أن هذا الحسين قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه وإنه ليس بدجال ولا شيطان والحجة القائم بين أظهرهم فاذا استقرت المعرفة في

في الرجعة

في رجوع جميع الأئمة عليهم السلام الى الدنيا

قلوب المؤمنين انه الحسين جاء الحجة الموت فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحده في حفرته الحسين بن علي ولا يلي الوصي إلا وصي ، وقال علي بن ابراهيم في قوله سبحانه : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ﴾ قال الصادق عليه السلام هو في الرجعة إذا رجع رسول الله والأئمة عليهم السلام وروى السيد علي بن طاوس عن حمران بن أعين قال عمر الدنيا مائة الف سنة لسائر الناس عشرون الف سنة وثمانون الف سنة لآل محمد عليهم السلام .

في ان امام الزمان عجل الله تعالى فرجه يخرج في وتر من السنين

﴿ الفائدة الرابعة ﴾ هي أن امام الزمان المهدي عجل الله تعالى فرجه يخرج في وتر من السنين كما روى الشيخ المفيد قدس سره في الارشاد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال لا يخرج القائم إلا في وتر من السنين سنة احدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع انتهى . في صورة شاب ذو اربعين سنة ، كما روى الطبرسي في الاحتجاج عن حنان بن سدير عن الحسن بن علي صلوات الله عليهما قال ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القايم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم (ع) فان الله عز وجل يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الاماء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته في صورة شاب ذو اربعين سنة ذلك ليعلم ان الله على كل شيء قدير .

في يوم خروجه عجل الله تعالى فرجه

﴿ الفائدة الخامسة ﴾ هي ان الأخبار في يوم خروج امام الزمان المهدي عجل الله تعالى فرجه مختلفة يظهر من بعضها انه يوم الجمعة كما روى الصدوق قدس سره في كتاب كمال الدين عن ابي عبد الله عليه السلام قال يخرج قائمنا اهل البيت يوم الجمعة الخبر ، ويظهر من بعضها انه يخرج يوم السبت كما روى

الكليني قدس سره عن ابي بصير عن ابي جعفر الباقر (ع) قال قال ابو جعفر عليه السلام يخرج القائم (ع) يوم السبت يوم عاشوراء اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام ، ويظهر من بعضها انه يخرج في يوم النيروز ، كما رواه الشيخ احمد بن فهد في المهذب عن ابي عبد الله عليه السلام قال يوم النيروز هو اليوم الذي يظهر فيه قايمنا اهل البيت وولاة الأمر ويظفره الله تعالى بالدجال فيصلبه على كناسة الكوفة وما من يوم نيروز إلا ونحن نتوقع فيه الفرج لأنه من ايامنا حفظته الفرس وضيعتموه انتهى . ويمكن الجمع بين هذه الأخبار بحمل الخبر الاول على خروجه من محله ، وحمل الخبر الثاني على وروده في مكة المعظمة ، وحمل الخبر الثالث على وروده بالكوفة والشاهد عليه ما رواه شيخ الطائفة في كتاب الغيبة عن علي بن مهزيار قال قال ابو جعفر عليه السلام كأني بالقايم يوم عاشوراء يوم السبت قائماً بين الركن والمقام بين يديه جبرئيل (ع) ينادي البيعة لله فيملأها عدلا كما ملئت ظلماً وجوراً.

في مدة ملكه عجل الله تعالى فرجه

﴿ الفائدة السادسة ﴾ هي ان الأخبار في مدة ملكه ايضاً مختلفة يظهر من بعضها إن مدة ملكه سبع سنين كما روى الشيخ الطوسي قدس سره في كتاب الغيبة عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي قال قلت لابي عبد الله (ع) كم يملك القايم قال سبع سنين يكون سبعين سنة من سنينكم هذه ويظهر من بعضها ان مدة ملكه تسع عشرة سنة كما رواه محمد بن ابراهيم النعماني تلميذ الكليني عن جابر بن يزيد الجعفي قال سمعت ابا جعفر محمد بن علي عليهما السلام يقول والله ليملكن رجل منا اهل البيت ثلاث مائة سنة يزداد تسعاً قال فقلت له متى يكون ذلك ، قال بعد موت القايم (ع) قلت له وكم يقوم القايم (ع) في عالمه حتى يموت قال تسع عشرة سنة من يوم قيامه الى يوم

موته انتهى . قوله عليه السلام ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاث مائة سنة يزداد تسعاً قال فقلت له متى يكون ذلك قال بعد موت القايم « ع » اشارة الى ملك الحسين أرواحنا وأرواح العالمين له الفداء أو غيره من الأئمة (ع) ويظهر من بعضها ان مدة ملكه عشرين ومائة سنة كما روى الشيخ الطوسي قدس سره فى كتاب الغيبة عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن ولي الله يعمر عمر ابراهيم الخليل (ع) عشرين ومائة سنة ، ويظهر فى صورة فتى موفق ابن ثلاثين سنة انتهى . قيل لعل المراد بالموفق المتوافق الأعضاء المعتدل الخلق أو هو كناية عن التوسط فى الشباب بل انتهاؤه أي ليس في بدؤ الشباب فان فى مثل هذا السن يوفق الانسان لتحصيل الكمال ويظهر من بعضها إن مدة ملكه ثلثمائة وتسع سنين كما روى الشيخ الطوسي قدس سره في كتاب الغيبة عن أبي الجارود قال قال أبو جعفر عليه السلام إن القايم « ع » يملك ثلثمائة وتسع سنين كما لبث أهل الكهف في كهفهم يملأ الأرض عدلا وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويفتح الله له شرق الأرض وغربها ويقتل الناس حتى لا يبقى إلا دين محمد « ص » يسير بسيرة سليمان بن داود الخبر . ويمكن الجمع بين هذه الأخبار بحمل بعضها على جميع مدة ملكه وحمل بعضها على زمان استقرار دولته وحمل بعضها على حساب ما عندنا من السنين والشهور وحمل بعضها على سنيه وشهوره الطويلة والله يعلم .

في انه تقتله امرأة

﴿ الفائدة السابعة ﴾ هي انه لم نجد الى الآن خبراً يدل على كيفية قتله واسم قاتله ومكان قتله ولكن قال السيد الجليل السيد محمد رضا الاصفهانى المعاصر للعلامة المجلسي قدس سرهما فى جنات الخلود تقتل الحجة عجل الله تعالى فرجه امرأة ذات لحية يقال لها مليحة ويدفن عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله

وقال الشيخ الجليل الشيخ علي اليزدي رحمه الله في كتاب إلزام الناصب تقتله امرأة من بني تميم اسمها سعيدة ولها لحية كلحية الرجل بجساون صخر من فوق سطح وهو متجاوز في الطريق فاذا مات تولى تجهيزه الحسين «ع» .

﴿ الفائدة الثامنة ﴾ في الاشارة الى بعض أوصافه الواردة في الأخبار

في الاشارة الى بعض أوصافه عجل الله تعالى فرجه

فاعلم ان اسمه يوافق اسم رسول الله صلى الله عليه وآله يشبه رسول الله «ص» في الخلق بالفتح وينزل عنه في الخلق بالضم لانه لا يكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وآله في أخلاقه ، لونه لون عربي على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري شيخ السن شاب المنظر حتى ان الناظر اليه ليحسبه ابن اربعين سنة أو دونها لا يهرم بمرور الايام والليالي حتى يأتيه أجله يقسم المال بالسوية يعدل في الرعية ببيد الظلم وأهله يقيم الدين وينفخ الروح في الاسلام يعز الاسلام به بعد ذلة ويحيي بعد موته يدعو الى الله بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو عليه في نفسه ما لو كان رسول الله «ص» لحكم به يرفع المذاهب من الارض فلا يبقى إلا الدين الخالص ولنعم ما قال بعض الحكماء والمتألهين المتوفى في سنة سبعمائة وثمانية وثلاثين من الهجرة في شأنه وأوصافه عجل الله تعالى فرجه :

ألا إن ختم الاولياء شهيد ... وعين امام العالمين فقيد

هوالسيد المهدي من آل أحمد ... هو الصارم الهندي حين يبيد

هوالشمس يجلو كل غم وظلمة ... هوالوابل(١) الوسمي حين يجود

له رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم وزرائه وخلفائه يحملون أثقال المملكة ويعينونه ولنعم ما قيل في المقام :

---

(١) والوابل هو المطر الشديد وهنا كناية عن كثرة بذله وعطائه «ع»

إن الامام الى الوزير فقير وعليهما فلك الوجود يدور
والملك إن لم تستقم أحواله بوجود هذين فسوف يبور
جلّ الإله الحق في ملكوته عن أن يراه الخلق وهوفقير

في فروع دين الاسلام

﴿ وأما التذييل ﴾ ففي الفقه الاصغر يعني فروع الدين ووجه تسمية فروع الدين بفروع الدين ، أما لاجل أن صحة الاعمال العبادية مثل الصلوة والزكوة والصوم والحج مثلا من فروع الدين متفرعة على الاعتقاد باصول الاسلام حيث ان الانسان لو لم يكن معتقداً باصول الاسلام يعنى بوجود الصانع للعالم وبنبوة الانبياء والمعاد الجسمانى لا تصح الاعمال العبادية منه فالاعتقاد باصول الاسلام شرط في صحة الفروع والفروع في الصحة متفرعة على الاعتقاد باصول الاسلام أو وجه تسمية فروع الدين هو ان الاعتقاد بوجود الصانع للعالم مستلزم لتشريع الصلوة وغيرها من الفروع ففروع الدين في الجعل والتشريع متفرعة على الاعتقاد بوجود الصانع للعالم ، ولذا قالوا يسمى علم الكلام باصول الدين لان سائر العلوم الدينية من الفقه والحديث والتفسير متوقفة على صدق الرسول وصدقه متوقف على وجود المرسل وعدله وحكمته وغير ذلك مما يبحث عنه في هذا العلم فلذلك سمى بهذا الاسم ، وهل فروع الدين محصورة في عدد معين أولا وقبل بيان ذلك نذكر مقدمة وهي

أن المشهور بين الفقهاء رضوان الله عليهم هو ان مسائل الفقه على أقسام أربعة وهي : العبـــادات ، والعقود ، والايقاعات ، والأحكام من جهة أن ما يذكر في الفقه ، اما أن يعتبر فيه النية ، وقصد القربة ، كالصلاة والصوم مثلا يسمى بالعبادات ، أو لا يشترط فيه قصد القربة ، وحينئذ أما يحتاج الى الايجاب والقبول معاً كالبيع والصلح مثلا يسمى بالعقود ، أو يحتاج الى الايجاب والانشاء دون القبول كالطلاق الرجعي والعتق مثلا يسمى بالايقـاعات أو لا يحتاج الى الايجاب ولا القبول كالحـدود والتعزيرات والقصاص والديات يسمى بالأحكام النظامية . إذا علم ذلك فاعلم انه قال جماعة من الفقهاء رضوان الله عليهم بحصر فروع الدين في ستة وهي : الصلاة والزكاة والصوم والخمس والحج والجهاد . وقال جماعة أخرى من الفقهاء بحصرها في ثمانيـــة بزيادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال جماعة بحصرها في عشرة بزيادة التبره والتولي ، ولم نجد مدركا لهذه الأقوال غير الوجوه الاستحسانية فالحق هو أن فروع دين الاسلام كثيرة بل لا تناهي لفروع الدين حيث ان ما استنبطه الفقهاء العظام رضوان الله عليهم من الأحكام من باب الطهارة الى باب الديات وما يستنبط فيما بعد بمرور الدهور يكون من فروع الدين . نعم الأهم من فروع الدين عشرة :

في أن عناوين الفقه أربعة

في عدم تناهي فروع الدين

(الأول) الصلاة : وفي الخبر عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال الصلاة عمود الدين الخبر . وفي خبر آخر سئل الامام الصادق عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد الى ربهم ، فقال : لا أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من الصلاة انتهى . اريد بالمعرفة معرفة الامام فانها المتبادر في عرفهم عليهم السلام ويحتمل معرفة الله سبحانه أو الأعم منهما ومن سائر المعارف الدينية والأول

في الصلاة

يستلزم الآخرين غالباً ولذا يطلقونها عليه في الأكثر بل يستفاد مما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال : إن عمود الدين الصلاة ، وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم فان صحت نظر في عمله وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله انتهى . إن قبولية الصلاة شرط لقبولية سائر الأعمال ، واعلم ان الاحكام الشرعية تابعة للمصالح والمفاسد النفس الآمرية ، والصلاة أمر تعبدي علاوة عن مصلحتها الذاتية الموجبة لعروض الوجوب عليها لتشريعها فوائد وحكم كثيرة من جملتها انها تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال الله تعالى : ﴿ وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ . وقد ورد أن فتى من الانصار كان يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وآله ويرتكب الفواحش ، فوصف ذلك لرسول الله « ص » فقال : إن صلاته تنهاه يوما ما فلم يلبث أن تاب ، ومن جملتها انها موجبة لتنزيه الانسان من الكبر كما روى محمد بن جابر عن زينب بنت علي عليه السلام قالت : قالت فاطمة سلام الله عليها في خطبتها فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك ، والصلاة تنزيهاً من الكبر الحديث : ومن جملتها أنها موجبة لتذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله وبقاء دينه كما روى الصدوق قدس سره عن هشام بن الحكم قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن علة الصلاة فان فيها مشغلة للناس عن حوائجهم ومتعبة لهم في أبدانهم . قال : فيها علل وذلك أن الناس لو تركوا بغير تنبيه ولا تذكر للنبي صلى الله عليه وآله بأكثر من الحبر الاول وبقاء الكتاب في أيديهم فقط لكانوا على ما كان عليه الاولون فانهم قد كانوا اتخذوا ديناً ووضعوا كتاباً ودعوا اناساً الى ما هم عليه وقتلوهم على ذلك فدرس أمرهم وذهب حين ذهبوا وأراد الله تبارك وتعالى أن لا ينسيهم أمر محمد صلى الله عليه وآله

في الاشارة الى بعض حكم تشريع الصلاة

ففرض عليهم الصلاة يذكرونه في كل يوم خمس مرات ينادون باسمه ويعبدون بالصلاة وذكروا الله لكيلا يغفلوا عنه وينسوه فيندرس ذكره ، ومن جملتها أنها مجمع الطاعات ، كما روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن محمد بن سنان عن الرضا «ع» فيما كتب اليه من جواب مسائله ان علة الصلاة إنها إقرار بالربوبية لله عز وجل وخلع الانداد وقيام بين يدي الجبار جل جلاله بالذل والمسكنة والخضوع والاعتراف والطلب للاقالة من سالف الذنوب ووضع الوجه على الارض كل يوم إعظاما لله عز وجل وأن يكون ذاكراً غير ناس ولا بطر ويكون خاشعاً متذللا راغباً طالباً للزيادة في الدين والدنيا مع ما فيه من الايجاب والمداومة على ذكر الله عز وجل بالليل والنهار لئلا ينسى العبد سيده مدبره وخالقه فيبطر ويطغى ويكون في ذكره لربه وقيامه بين يديه زجراً له عن المعاصي ومانعاً له عن أنواع الفساد انتهى . فالصلوة كجسر ممدود على متن جهنم الطبيعة ولوازمها يعصم المتمسك به عن الوقوع فيها والدخول في شدائدها ولا يحرقه نارها ولا يبتلى بدائها ولنعم ما قال الحكيم الالهي الحاج ملا هادي السبزواي قدس سره في مقام الاشارة الى كون قبولية الصلاة شرطاً لقبولية سائر الاعمال وكونها مجمع الطاعات :

إن الصلاة مجمع الطاعات ... لف لنشر المتشتتات
إن قبلت يقبل ما سواها ... وإن ترد رد ما عداها
فان فيها وحدة جمعية ... كوحدة الصيصية الانسية
عولج بالصلاة في الشريعة ... أمراض الانهماك في الطبيعة

ولنعم ما قال في مقام الاشارة الى حكمة تكرر الصلاة وانها تنهى عن الفحشاء والمنكر :

وان التكاليف السمعية الطاف في التكاليف العقلية :

والصلوات متكررات إذ غفلات متتابعات
صلاتنا فحشا ونكرى سالبه والحسنات سيئات مذهبه
وصاحب الشرع بخلق الله أرحم منهم لايدعهم لاهي

حيث ان التكاليف السمعية الطاف وأدوية فى التكاليف العقلية من جهة ان الانسان إذا كان مواظباً على فعل الواجبات السمعية مثل الاتيان بالصلاة والزكاة والحج والصوم وترك المناهي الشرعية مثل ترك أكل الميتة والخمر والقمار كان من الواجبات العقلية مثل الاحسان ورد الوديعة والانتهاء عن المناهي العقلية مثل ترك الظلم والكذب أقرب .

فى الزكاة

(الثاني) الزكاة : وهى أخت الصلاة فى الفضيلة حيث قرنهما الله تعالى في مواضع من كتابه مشعراً بعدم قيام الصلاة ممن لم يؤد الزكوة منها قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين ﴾ . وقد روى الصدوق قدس سره عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : إن الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة . قال : وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ، فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلم يقم الصلاة انتهى . بل قدّم الله تعالى زكاة الفطر على الصلاة فى قوله في سورة الأعلى : ﴿ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى ﴾ . والزكاة علاوة عن كونها أمراً تعبديا فوائدها وحكم تشريعها كثيرة منها أنها موجبة لتطهير الانسان من المعاصي والبخل وسائر الصفات الذميمة كما يدل عليه قوله تعالى فى سورة التوبة : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ . ومنها انها وضعت اختباراً للاغنياء كما رواه معتب مولى الامام

الصادق عليه السلام قال : قال الصادق (ع) : إنما وضعت الزكاة اختباراً للاغنياء ومعونة للفقراء ، ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم محتاجاً ولا ستغنى بما فرض الله له الحديث . والآيات والأخبار في ذم تارك الزكاة وعقابه كثيرة ، ومن الآيات قوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ . وقد روى علي بن ابراهيم القمي قدس سره عن الامام الباقر عليه السلام في هذه الآية ان الله حرم كنز الذهب والفضة وأمر بانفاقه في سبيل الله قال : كان أبو ذر الغفاري يغدو كل يوم وهو بالشام فينادي بأعلى صوته بشر أهل الكنوز بكي في الجباه وكي بالجنوب وكي بالظهور أبداً حتى يتردد الحر في أجوافهم انتهى . وروى علي بن ابراهيم القمي قدس سره انه لما أمر عثمان بنفي أبي ذر رحمه الله الى الربذة ، دخل عليه أبو ذر وكان عليلا وهو متكىء على عصاه وبين يدي عثمان مائة الف درهم أتته من بعض النواحي وأصحابه حوله ينظرون اليه ويطمعون أن يقسمها فيهم فقال أبو ذر لعثمان : ما هذا المال ؟ فقال : حمل الينا من بعض الأعمال مائة الف درهم اريد أضم اليها مثلها ثم أرى فيها رأيي . قال : أبو ذر يا عثمان أيما أكثر مائة الف درهم أم اربعة دنانير فقال عثمان : بل مائة الف درهم فقال : أما تذكر إذ أنا وأنت دخلنا على رسول الله « ص » عشاء فوجدناه كئيباً حزيناً فسلمنا عليه ولم يرد علينا السلام ، فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكا مستبشراً ، فقلت له بأبي أنت وأمي دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً وعدنا اليك اليوم فرأيناك ضاحكا مستبشراً . فقال نعم : كان

في ذم تارك الزكاة وعقابه

في رواية علي ابن ابراهيم في شأن أبي ذر الغفاري رحمه الله

قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها وخفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسمتها اليوم فاسترحت ، فنظر عثمان الى كعب الأحبار فقال : يا أبا اسحق ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيها بعد ذلك شيء . فقال لا : ولو اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ما وجب عليه شيء فرفع ابو ذر عصاه فضرب بها راس كعب وقال : يابن اليهودية الكافرة ما انت والنظر في احكام المسلمين قول الله عز وجل اصدق من قولك حيث قال : والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون . قال عثمان يا أبا ذر إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك ولولا صحبتك لرسول الله صلى الله عليه وآله لقتلتك . فقال : كذبت يا عثمان ، ويلك أخبرني حبيبي رسول الله فقال : لا يقتلونك يا أبا ذر ولا يقتلونك ، أما عقلي فقد بقي منه ما أذكرني حديثاً سمعته من رسول الله (ص) قال فيك وفي قومك . قال : وما سمعت من رسول الله (ص) فيّ وفي قومي ؟ قال : سمعته يقول وهو قوله (ص) إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلا صيّروا مال الله دولا ، ودين الله دخلا وعباد الله خولا ، والصالحين حرباً ، والفاسقين حزباً . قال عثمان : يا معشر أصحاب محمد صلى الله عليه وآله هل سمع أحد منكم هذا الحديث من رسول الله (ص) ؟ قالوا لا : ما سمعنا هذا من رسول الله (ص) ، فقال عثمان : ادعوا علياً ، فجاءه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عثمان : يا أبا الحسن اسمع ما يقول هذا الشيخ الكذاب ؟ فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : يا عثمان لا تقل كذاب ، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول : ما اظلت

الخضراء ، ولا أقلت الغبراء ، من ذي لهجة أصدق من ابي ذر . قال اصحاب رسول الله (ص) صدق علي (ع) سمعنا هذا القول من رسول الله (ص) فعند ذلك بكى ابو ذر وقال ويلكم كلكم قد مد عنقه الى هذا المال ظننتم اني أكذب على رسول الله (ص) ثم نظر اليهم فقال : من خيركم ؟ فقالوا: أنت تقول انك خيرنا . قال نعم . خلفت حبيبي رسول الله (ص) في هذه الجبة وهي عليّ بعد ، وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرة والله سألكم عن ذلك ولا يسألني ، فقال عثمان : يا أبا ذر اسألك بحق رسول الله (ص) إلا ما اخبرتني عما أنا سائلك عنه ، فقال أبوذر : والله لو لم تسألني بحق رسول الله (ص) أيضاً لأخبرتك . فقال : أي البلاد أحب اليك أن تكون فيها ؟ فقال : مكة حرم الله وحرم رسوله ، أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت . فقال لا : ولا كرامة لك . قال : المدينة حرم رسول الله (ص) ، فقال لا : ولا كرامة لك . قال : فسكت أبو ذر رحمه الله وقال : أي البلاد أبغض اليك أن تكون بها ؟ قال : الربذة التي كنت بها على غير دين الاسلام . فقال عثمان : سر اليها الحديث . قوله صلى الله عليه وآله : صيروا مال الله دولا ، ودين الله دخلا ، وعباد الله خولا ، والصالحين حربا ، والفاسقين حزبا ، يعني صيروا مال الله دولة يستقل بها الرؤساء وأهل الدولة ، ودين الله دخلا الدخل بالتحريك العيب والدغل والخيانة والفساد يعني يدخلون في الدين اموراً لم تجربها السنة وعباد الله خولا الخول بالتحريك العبيد اي خدما وعبيداً يعني انهم يستخدمونهم ويستعبدونهم والصالحين حربا يعني يحاربون مع الصالحين والفاسقين حزبا يعني يجعلون من الفاسقين حزبا لهم . وقوله صلى الله عليه وآله في مدحه بما لم يمدح به احد ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة

في تفسير بعض مفردات الرواية

اصدق من ابي ذر المراد بالخضراء السماء لأنها تعطي الخضرة وبالغبراء الارض لأنها تعطي الغبرة في لونها يعني ما اظلت السماء ولا حملت الأرض من اهل اللسان اصدق من ابي ذر وبعبارة اخرى لا يكون تحت ظل السماء ولا على وجه الأرض من اهل اللسان اصدق من ابى ذر .

ومن جملة الأخبار قال الامام الصادق عليه السلام : ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة ، وقال في خبر آخر : من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهوديا او نصرانيا انتهى . والقيراط نصف عشر الدينار ، فالقيراط عشرون فلساً يعني نصف قران .

في الصيام

(الثالث) الصوم : ويكفي في فضله ما رواه عبد الله بن عباس عن النبي (ص) قال : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ كل عمل ابن آدم هو له غير الصوم هو لي وانا اجزي به ﴾ انتهى . ولقد كثر الكلام في وجه اسناد الله الصوم وجزائه الى ذاته تعالى من بين العبادات يحتمل ان يكون وجه ذلك هو ان جميع العبادات التي يتقرب بها الى الله تعالى من صلاة وغيرها قد عبد المشركون بها ما كانوا يتخذون من دون الله انداداً ولم يسمع ان طائفة من طوائف المشركين وارباب النحل في الأزمنة المتقدمة عبدت إلهاً بالصوم ولا تقربت اليه به ولا عرف الصوم في العبادات إلا من الشرايع فلذلك قال تعالى الصوم لي ومن مخصوصاتي وانا اجزي عليه بنفسي لا اكله الى احد غيري من ملك مقرب ولا غيره ويكون قوله وانا اجزي به بياناً لكثرة الثواب ويكون مستثنى من قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ويحتمل ان يكون وجه اختصاصه تعالى بالصوم وجزائه هو ان الصوم امر مخفي بعيد عن الرياء ولا يمكن الاطلاع عليه لغير الله تعالى بخلاف غيره كالحج والصلاة ،

في حديث الصوم لي وأنا اجزي به

ولكن الأوجه في وجه اختصاصه تعالى بالصوم وجزائه هو ان يقال ان وجه اضافة الله صوم الصائم وجزائه الى ذاته تعالى من بين العبادات هو ان معنى الخبر بناء على ضم الهمزة بأن يقرأ اجزى بالمجهول كما هو الأقوى ان صوم الصائم وجزائه قربى اليه الذي هو أفضل من الجنة وفوقها لأن الصائم في حال الصوم يتشبه بالمجرد من جهة تجرده عن الجسمانيات من الأكل والشرب وسائر التروك فالصوم موجب لصفاء عقل الصائم وفكره بواسطة ضعف القوى الشهوية وقوة القوى العقليـة فيصل بسبب القوى العقلية الى دقائق الحكمة والى كمال المعارف الربانية التي هي أشرف أحوال النفس الانسانية فلذلك قال تعالى الصوم لي ومن مخصوصاتي وأنا اجزى به .

في الاشارة الى بعض حكم تشريع الصوم

واعلم ان الصيام أمر ضروري للانسان بل لتمام الاجسام كما روى زرارة عن الامام الصادق عليه السلام قال : لكل شيء زكاة وزكاة الأجسام الصيام انتهى . وفلسفة تشريعه وحكمه وفوائده كثيرة كما ذكرناها في كتابنا الكبير من جملتها ان الصوم والامساك موجب لصحة بدن الانسان ونمو الأشجار ، كما ورد في النبوي صوموا تصحوا ومنها ان الله تبارك وتعالى اوجب الصيام ليكون ذوق الغنى الم الجوع موجبا لترحمه على الفقير كما روى هشام بن الحكم عن الامام الصادق عليه السلام قال : سألته عن علة الصيام . قال : العلة في الصيام ليستوي به الفقير والغنى وذلك لأن الغنى لم يكن يجد مس الجوع فترحم الفقير لأن الغني كلما أراد شيئا قدر عليه فأراد الله أن يسوي بين خلقه وان يذوق الغني مس الجوع وإلا لم يرق على الضعيف ويرحم الجائع انتهى . ولنعم ما أنشأ الحكيم الالهي الحاج ملاهادي السبزواري قدس سره في مقام الاشارة الى بعض حكم تشريع الصوم من كونه موجبا

لصحة البدن وصفاء العقل والفكر بواسطة ضعف القوى الشهوية وقوة القوى العقلية فيصل بسببها الى دقايق الحكمة والى كمال المعارف الربانية التي هي أشرف أحوال النفس الانسانية حيث قال :

الصوم للقلوب نعم التصفية ... صوموا تصحوا حجة مستكفية
كم خبر في فضل صوم يؤثر ... والجوع للحكمة مزن ماطر
والبطنة كانت تميت الفطنة ... بل كان في البطنة كل الفتنة
وفيه بالبائس والمعترفي ... ضنك مواساة فشارك يا وفي
طعامكم مسموم سم البصر ... من بائس لم يعط حق النظر
عجن من ماء بكا من صرخا ... بنار حسرة الفؤاد طبخا
فليكتف العبد بقدر اللازم ... واحسن الكفاف كف الصائم
وخير صوم لتصير مظهراً ... لصمد لا يطعم رب الورى

في الخمس (الرابع) الخمس : وهو رابع الكسور الذي فرضه الله تعالى شأنه لمحمد صلى الله عليه وآله وذريته عوضاً عن الزكاة اكراماً لهم عنها كما روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن سليم بن قيس الهلالي عن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : نحن والله الذين عنى الله بذي القربى الذين قرنهم الله بنفسه وبنبيه فقال : فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل منا خاصة ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً اكرم الله نبيه واكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي الناس انتهى . ومن حكم تشريعه وفوائده علاوة عن كونه أمراً تعبديا انه موجب لتطهير الناس من المعاصي والبخل وسائر الصفات الذميمة كما روى ابن بكير عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال : إني لآخذ

من أحدكم الدرهم وإني لمن اكثر من أهل المدينة مالا ما اريد بذلك إلا أن تطهروا الحديث والأخبار في ذم تارك الخمس وعقابه كثيرة ، منها ما رواه أبو بصير عن أبي جعفر الباقر «ع» قال : لا يحل لأحد أن يشتري من الخمس شيئاً حتى يصل الينا حقنا .

في الحج

(الخامس) الحج : ويكفي في فضله ما رواه عبد الله بن يحيى الكاهلي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أما انه ليس شيء أفضل من الحج إلا الصلاة انتهى . والحج يكون من الخمسة التي بني عليها الاسلام كما في رواية أبي حمزة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : بني الاسلام على خمس على الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والولاية . ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية انتهى . وإن لم يدرك العقول الدانية البشرية أسرار وجوبه وفلسفته . فسؤال بعض العوام في مقام الاعتراض عن فلسفة وجوبه ولما يجاب عن سؤاله بأنه أمر تعبدي يتخيل العياذ بالله ان لفظ التعبد مرادف لغير معقول ويزيد على اعتراضه غير صحيح .

«أولا» من جهة انه بعد أن العقل السليم يحكم بوجوب اطاعة المولى الحقيقي وشكر المنعم الواقعي بأي شيء يأمر يحكم العقل بوجوب امتثاله وان لم يفهم اسراره وفلسفته لأن الأحكام الشرعية ليست مثل القوانين العرفية حتى كانت أسرارها وفلسفتها معلومة لأكثر الناس .

في الاشارة الى بعض حكم تشريع الحج

«وثانياً» مع انه أمر تعبدي بين صادع الشرع «ص» وحفاظه عليهم السلام بعض فوائده وفلسفته وحكم تشريعه حيث انه علاوة عن ترتب الفوائد الاخروية عليه مثل كونه علامة لتواضع الناس لله تعالى وعلماً للاسلام كما في نهج البلاغة ولتعرف آثار رسول الله وتعرف اخباره ويذكر

ولا ينسى كما في رواية هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام ولأجل ما فيه من التفقه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام الى كل صقع وناحية كما في رواية فضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام يترتب عليه آثار دنيوية مثل انه جعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب لتعارفوا ولينزع كل قوم من التجارات من بلد الى بلد ولينتفع بذلك المكاري والجمال كما في رواية هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام والأخبار في ذم تأخيره وعقاب تاركه كثيرة منها رواية أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال : سألته عن قوله تعالى : ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ قال : ذاك الذي يسوف نفسه الحج يعني حجة الاسلام حتى يأتيه الموت . وفي رواية اخرى قال : الصادق عليه السلام من سوف الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهوديا أو نصرانيا .

في الجهاد

(السادس) الجهاد : الدفاعي أي جهاد من يهجم على المسلمين من الكفار والمشركين بحيث يخافون استيلائهم على بلادهم وأخذ مالهم ، وأما جهاد الكفار والمشركين ابتداء لدعائهم الى الاسلام فيكون من لوازم الامامة وكيف كان يكفي في فضله ما رواه مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : اغزوا تورثوا أبنائكم مجداً وما رواه السكوني عن الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبي ﴿ ص ﴾ انه قال : فوق كل برّ بر حتى يقتل في سبيل الله فاذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر ، وفوق كل ذي عقوق عقوق حتى يقتل أحد والديه فاذا قتل أحد والديه فليس فوقه عقوق ، وما رواه منصور ابن حازم قال : قلت للصادق ﴿ ع ﴾ أي الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة

لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله ، وما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إن الله فرض الجهاد وعظمه وجعله نصره وناصره ، والله ما صلحت دينا ولا دنيا إلا به ، وما روى الصدوق قدس سره في كتاب معاني الأخبار ان علياً ﴿ع﴾ قال في خطبة له : أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيم (١) الخسف ، وديث بالصغار الحديث . وروى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن الامام الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله ﴿ص﴾ : الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلا السيف والسيوف مقاليد الجنة والنار انتهى . وإنما كان الخير كله في السيف لأنه به يسلم الكفار ، وبه يستقيم الفجار ، وبه ينتظم امور الناس لما فيه من شدة الباس ، وبه ثياب الشهداء ، وبه يكون الظفر على الأعداء ، وبه يغنم المسلمون ويفيء اليهم الأرضون ، وبه يؤمن الخائفون ، وبه يعبد الله المؤمنون والمقاليد المفاتيح يعني ان السيوف مفاتيح الجنة للمسلمين ومفاتيح النار للكفار .

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(السابع والثامن) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وهما واجبان عقلا ونقلا على الكفاية على المشهور الأقوى .

أما عقلا : فلقاعدة اللطف في المقام حيث انهما يقربان العبد الى الله تعالى ويبعدانه من عذابه ، والعقل حاكم بوجوب ذلك .

إن قلت : ان الوجوب العقلي غير قابل للتخصيص فيجبان على الله تعالى

---

(١) قوله ﴿ع﴾ : وسيم الخسف أي اوتي الذل ، يقال سامه الخسف أي أولاه ذلا وهواناً ، قوله : وديث بالصغار أي ذل وصغر .

أيضاً وذلك باطل لأنه إن فعلها لزم أن يرتفع كل قبيح ، ويقع كل واجب لكن الواقع خلافه وإن لم يفعلها لزم اخلاله بالواجب لكنه حكيم لا يخل بالواجب فالدليل على وجوبها هو النقل دون العقل .

قلت : يجبان على الله تعالى أيضاً ولكن الوجوب يختلف بحسب الموارد وليس بلازم على الله تعالى أن يفعلها بنحو التكوين بل يفعلها بنحو التشريع وقد فعل ذلك والعبد قد يعصي ولا يمتثل الأمر والنهي التشريعيين .

إن قلت : هذا الجواب يكون خلف الفرض لأن الكلام في الوجوب العقلي المقابل للشرعي ولازمه أن يكونا واجبين على الله تعالى بنحو التكوين لا التشريع .

قلت : ﴿ أولا ﴾ لا ملازمة بين وجوبهما على الله تعالى وبين قيامه بهما بنحو التكوين بل يجبان عليه ولكن يفعلهما بنحو التشريع وقد فعل ذلك كما يجب على الله تعالى جعل التكاليف والقوانين وقد بينها بنحو التشريع .

﴿ وثانياً ﴾ يكون المانع لوجوبهما على الله تعالى بنحو التكوين حيث أن وجوبهما عليه بنحو التكوين مستلزم لأن يكون العبد مجبوراً على فعل الواجب وترك الحرام وذلك موجب لبطلان الثواب والعقاب .

وأما نقلا : فلقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ولاخبار كثيرة :

« منها » ما روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن محمد بن عرفة قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم .

« ومنها » ما روى الشيخ الطوسي قدس سره عن النبي صلى الله عليه وآله قال : لا تزال امتي بخير ما امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا

على البر فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء .

(ومنها) ما روى السكوني عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده ما انفق الناس من نفقة أحب من قول الخير .

(ومنها) ما روى الصدوق قدس سره عن الامام الصادق عليه السلام في حديث شرايع الدين قال : والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على من أمكنه ذلك ولم يخف على نفسه ولا على أصحابه انتهى .

وقد أشارت فاطمة الزهراء سلام الله عليها في خطبتها الى حكمة تشريعها بقولها فرض الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة للعامة الحديث . حيث أن امور الناس لا تستقيم إلا بهما كما روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي والشيخ الطوسي قدس سره في التهذيب عن الامام الباقر عليه السلام قال : إن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصالحين فريضة عظيمة بها تقام الفرايض ، وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الارض ، وينتصف من الاعداء ، ويستقيم الامر الحديث .

(التاسع والعاشر) التبري والتولي :

في التبري والتولي

﴿والتبري﴾ من حيث المرتبة متقدم على التولي حيث إن مرتبة تخلية النفس عن الصفات والاخلاق الرذيلة متقدمة على مرتبة تحلية النفس بالصفات والاخلاق الحسنة كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿وإذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ أصناما آلهة﴾ الى أن قال : ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي

لا كونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ كما يدل عليه أيضاً كلمة التوحيد يعني لا إله إلا الله ، ولكن التبري والتولي لايكونان من فروع الدين بل يكونان من لوازم اصول الاسلام والايمان ومن الاعمال الجوانحية القلبية لامن الاعمال الجوارحية الخارجية وكيف كان ان التبري عبارة عن البراءة القلبية عن أعداء محمد وفاطمة وعلي وأولاده عليهم السلام ، والتولي عبارة عن المحبة القلبية بالنسبة الى محمد وفاطمة وعلي واولاده عليهم السلام قال الله تعالى : ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ . وقد روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن أبي حمزة قال : قال لي أبو جعفر الباقر (ع) : إنما يعبد الله من يعرف الله فاما من لا يعرف الله فانما يعبد هكذا ضلالا . قلت جعلت فداك فما معرفة الله قال تصديق الله تعالى وتصديق رسول الله ﴿ص﴾ وموالاة علي والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام والبراءة الى الله عز وجل من عدوهم هكذا يعرف الله عز وجل وروى سلمان الفارسي رضى الله عنه عن النبي ﴿ص﴾ قال يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم فوالاهم وتبره من عدوهم كان والله منا يرد حيث نرد ويسكن حيث نسكن الحديث بل الاعمال العبادية بدون مودتهم باطلة وإن محبتهم وموالاتهم شرط لصحة الاعمال العبادية كما روى العزرمي عن أبيه عن الامام الصادق (ع) قال : أثافي الاسلام ثلاثة : الصلاة والزكاة والولاية ، ولا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها انتهى . قال الشيخ الجليل فخر الدين الطريحي قدس سره : الاثافي جمع الاثفية بالضم والكسر على افعولة وهي الحجارة التي تنصب ويجعل القدر عليها وقد تخفف الياء في الجمع

واستعارها هنا لما قام الاسلام عليها وثبت كثبوت القدر على الأثافي انتهى . وإنما اقتصر في هذا الحديث على هذه الثلاثة لأنها أمهن . وقد روى محمد ابن يعقوب الكليني عن زرارة عن أبي جعفر الباقر (ع) قال : بني الاسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية . قال زرارة : فقلت وأي شيء من ذلك أفضل . فقال : الولاية أفضل لأنها مفتاحهن ، والوالي هو الدليل عليهن الى أن قال : ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن الطاعة للامام بعد معرفته إن الله تعالى يقول : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته اليه ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الايمان . ثم قال : أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته انتهى . قوله (ع) : ذروة الأمر وسنامه الخ . والذروة بالكسر والضم من كل شيء أعلاه ، وسنام كل شي اعلاه أيضاً . ومنه الحديث ، ذروة الاسلام وسنامه الجهاد انتهى . فهو عطف تفسيري للذروة ونختم الكلام بذكر أبيات يناسب ذكرها في المقام ولنعم ما قيل :

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم ... من لا يصلي عليكم لا صلاة له

أشير بذلك الى فضيلة لأهل البيت عليهم السلام تعلو كل فضيلة حيث ان الله تعالى جعل الصلوة عليهم جزءاً من الصلاة المفروضة على جميع عباده ، فلا تصح بدونها صلاة أحد من العالمين ، وهذه منزلة عنت وخضعت لها وجوه

جماعة الخافقين (١) ولنعم ما قال بعض الحكماء والمتألهين :

رأيت ولائي آل طـه وسيلة ... على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى ... بتبليغـه إلا المودة في القربى

وقال بعض الحكماء والمتألهين :

لله دركم يا آل ياسينا ... يا أنجم الحق أعلام الهدى فينا
لا يقبل الله إلا في محبتكم ... أعمال عبـد ولا يرضى له دينا
بكم اخفف أعباء(٢) الذنوب بكم ... بكم اثقّل في الحشر الموازينـا
من لم يوالكم في الله لم ير من ... فيح (٣) اللظى وعذاب القبر تسكينا

فمودة الأئمة وولائهم ﴿ع﴾ ماء الحياة وسفينة النجاة في النشأتين (٤) ولكن لا يمكن ولائهم بالحقيقة إلا بعد عرفان وجوداتهم النورية ولا يمكن معرفتهم إلا بالنور وتحصيل العلم واتقانه حيث ان الجاهل لا يعرف مرتبة العالم لأنه لا يكون عالماً فضلا عن عرفان مرتبة الامامة ، لأن الامام واحد دهره لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا له مثل ، ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ، ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب جعله معصوماً عن الخطأ محبوّاً بالحكمة في علم الغيب عنده وأعطاه من مخزون علمه فوق علم جميع أهل الزمان ، واصطفاه شمساً حقيقياً

في توقف الولاء على المعرفـة والتحريص على تحصيل العلـم

(١) والخافقـان : يطلق تارة على المشرق والمغرب وأخرى على الأرض والسماء .

(٢) أعباء الذنوب يعني أثقالها .

(٣) فيح اللظى يعني حر جهنم .

(٤) والنشأتان : هذا العالم وعالم الآخرة .

للعالم ، وحياة للانام ، ومصباحا للظلام ، ومفتاحا للكلام ، ودعامة للاسلام والامام كما في خبر طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين عليه السلام كلمة الله ، وحجة الله ، ونور الله ، وحجاب الله ، وآية الله ، يختاره الله ويجعل فيه ما يشاء ويوجب له بذلك الطاعة والولاية على جميع خلقه ، ويكتب على عضده ، وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا فهو الصدق والعدل فينصب له عمود من نور من الأرض الى السماء يرى فيه أعمال العباد ، وهل يعرف أو يوصف أو يفهم أو يدرك من هو شعاع جلال الكبرياء وشرف الأرض والسماء جل مقام آل محمد ﴿ ص ﴾ عن وصف الواصفين ، ونعت الناعتين والامام بشر ملكي ، وجسد سماوي ، وأمر إلهي ، وروح قدسي ، ومقام علي ، ونور جلي ، وسر خفي ، فهو ملكي الذات ، إلهي الصفات ، زائد الحسنات عالم بالمغيبات ، خصاً من رب العالمين . وهذا كله لآل محمد لا يشاركهم فيه مشارك الخبر . فالامامة أجل قدراً ، وأعظم شأنا ، وأعلى مكانا ، وأبعد غوراً من أن يبلغها العقول البايرة الناقصة ، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام هيهات هيهات ضلت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وتصاغرت العظماء ، وتحيرت الحكماء عن وصف شأن من شؤنه ، أو فضيلة من فضائله ، وأقرت بالعجز فكيف يوصف بكله ، أو ينعت بكنهه ، أو يفهم شيء من أمره . فاوصيكم يا أبنائي بتحصيل العلم ورعايته خصوصاً بالنسبة الى اصول دين الاسلام لأن دين الاسلام كما مر مركب من جزئين من اصول دين الاسلام وفروع دين الاسلام والأصل الأصيل والجزء الأهم هو اصول دين الاسلام خصوصاً في هذا الزمان الذي اصطلح أهله على الجهالة وتوازرهم وسعيهم في عمارة طرق الجهالة حتى كاد العلم معهم أن يزول كله

وتنقطع مواده لما قد رضوا أن يستندوا الى الجهل ويضيعوا العلم وأهله فعليكم يا أبنائي بتحصيل العلم ورعايته فان العلم أفضل الفضائل الكمالية وأشرف النعوت الجمالية بل هو أجل الصفات الربوبية واجل السمات الالوهية وهو الموصل الى جوار رب العالمين والدخول في افق الملائكة المقربين وهو المؤدي الى دار المقامة التي لا تزول ومحل الكرامة التي لا تحول وقد تطابق العقل والبرهان وإجماع ارباب الأديان على ان السعادة الأبدية والقرب من الله سبحانه لا يتيسران بدونه واي شيء افضل مما هو ذريعة اليهما وايضاً قد ثبت في الحكمة المتعالية إن العلم والتجرد متلازمان فكلما تزداد النفس علماً تزداد تجرداً ولا ريب في ان التجرد اشرف الكمالات المتصورة للانسان إذ به يحصل التشبه بالملأ الأعلى واهل القرب من الله تعالى . وبالجملة عليكم بتحصيل العلم ورعايته والقيام بخدمته ، والجد في طلبه ، وكثرة الدرس والمذاكرة والحفظ حيث أن عرفان كل شيء يكون بالعلم والنور الذي يقذفه الله في قلب من يشاء وبالعلم يتميز الحق عن الباطل والصحيح عن الفاسد ولنعم ما أنشأ بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في شرافة العلم وفضله حيث قال :

العلم كنز وذخر لا نفاد له ... نعم القرين إذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المرء مالا ثم يسلبه ... عما قليل فيلقى الذل والحربا (١)
وحامل العلم مغبوط به أبداً ... ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلن به درآ ولا ذهبا

والعالم لا يكون وحيداً إذا لم يكن له أنيس وجليس بل علمه يكون

(١) والحرب بالتحريك نهب مال الانسان وتركه لامال له ومنه حديث الدعاء على العدو (اللهم أذقه طعم الحرب وذل الأسر) .

أنيسه وجليسه ولنعم ما قال بعض الحكماء والمتألهين :

لما عدمت موانساً وجليسا ... نادمت بقراطاً وجالينوسا
وجعلت كتبهما شفاء تفردي ... وهما الشفاء لكل جرح بوسا
ووجدت علمهما إذا حصلته ... يذكي ويحيي للجسوم نفوسا

والعالم بواسطة علمه بعواقب الحلال والحرام ونتائجها وآثارها يطلب الرزق الحلال ، ويجتنب عن الحرام ولا يدق باب غير الله تعالى ولنعم ما قال بعض الحكماء والمتألهين :

أمن بعد غرسي في علوم الحقائق ... وطول انبساطي في مواهب خالقي
وفي حين اشرافي على ملكوته ... أرى طالباً رزقاً الى غير رازقي

قال الله تبارك وتعالى في سورة هود : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ . وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه كما في نهج البلاغة : قسم أرزاقهم واحصي آثارهم وأعمالهم وعدد أنفاسهم وخيانة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور الى أن يتناهي بهم الغايات وروى الصدوق قدس سره عن النبي ﴿ ص ﴾ انه قال : الرزق يطلب العبد أشد طلب من أجله . وقال : إن الرزق يطلب العبد كما يطلب أجله . وقال : لو أن أحدكم فر من رزقه لتبعه كما تبعه الموت . وقال لأبي ذر الغفاري : يا أبا ذر لو أن آدم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما أدركه الموت . وقال ﴿ ص ﴾ :

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فلا تدري لمن تجمع
ولا تدري أفي أرضك أم في غيرها تصرع

فان الرزق مقسوم ركد المرء لا ينفع
فقير كل من يطمع غني كل من يقنع

انتهى . الحمد لله رضى بقضائه وتسليماً لأمره ما دققت باب غير الله تعالى للرزق والمعيشة بل وصل ويوصل الى ما قدر في الأزل وسطر في اللوح المحفوظ بمقدار ما اقنع به ولا أدق باب غير الله تعالى الى حين مجيء المنية وأشكر الله تعالى شكر رضاء وتسليم من أول مجيئي بالنجف الأشرف لتحصيل المعارف الدينية والاحكام الشرعية الى الآن في مدة خمسين سنة سكناي دار بالاجارة وما تمكنت في هذه المدة لشراء دار أسكنها الى حين المنية ويسكنها أولادي بعد مماتي ولا لطبع مؤلفاتي بل كنت قاصداً لتهيئة مقبرة لدفني في داخل النجف الى الآن وهي سنة احدى وثمانين بعد الالف والثلثمائة من الهجرة ما تمكنت من تهيئة ذلك لاني ما دققت باب غير الله تعالى لهذه الامور وهذا العالم عالم الاسباب ولا يمكن التهيئة بدون الاسباب وأزمة الامور والمصالح بيد الله تبارك وتعالى .

وبالجملة لا يمكن ولاء الائمة عليهم السلام بالحقيقة إلا بعد عرفانهم ولا يمكن عرفانهم إلا بتحصيل العلم فاوصيكم يا أبنائي بتحصيل الكمالات النفسانية وصرف أوقاتكم في اقتناء الفضائل العلمية والارتقاء عن حضيض النقصان الى ذروة الكمال والارتفاع الى عوج العرفان عن مهبط الجهال وعليكم بكثرة الاجتهاد في زيادة العلم والتفقه في الدين فان أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال لولده : تفقه في الدين فان الفقهاء ورثة الانبياء وإن طالب العلم ليستغفر له من في السماوات ومن في الارض حتى الطير في جو السماء والحوت في البحر

وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى به وهذه وصيتي اليكم والله خليفتي عليكم .

وهنا فوائد :

(الاولى) : هي انه كما يصعب معرفة مقام الامام كما مر كذلك يصعب على العامي وغير البالغ رتبة الاجتهاد معرفة بلوغ الانسان مقام الاجتهاد حيث أن وصول الانسان الى مرتبة الاجتهاد المطلق أمر مشكل ولذا قال خاتم المحققين والفقهاء الشيخ مرتضى الانصاري قدس سره في فرائد الاصول بلوغ الانسان الى مرتبة الاجتهاد اشد من امر الجهاد وكما ان بلوغ الانسان الى مرتبة الاجتهاد المطلق امر مشكل كذلك احراز الاجتهاد والاعلمية ايضاً امر مشكل والعلماء من اهل الاجتهاد كلهم انوار وامناء وحفاظ للشرع الشريف إلا ان النور امر مقول بالتشكيك ذات مراتب متفاوتة حيث ان النور القوى نور والنور الضعيف ايضاً نور ولكن اين الثرى من الثريا . وقد روى محمد ابن يعقوب الكليني قدس سره عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ فلينظر الانسان الى طعامه ﴾ . قال : قلت ما طعامه ؟ قال : علمه الذي يأخذه عمن يأخذه انتهى . فكما ان الانسان مأمور بالنظر الى طعامه وغذائه الجسماني وانه من الحلال او الحرام كذلك مأمور بالنظر الى غذائه الروحاني اي العلم وانه عمن يأخذه .

في الشرائط المعتبرة في المفتي

وبالجملة العلماء من اهل الاجتهاد كلهم امناء وحفاظ للشريعة المقدسة إلا ان من يكون تكليف غير البالغ رتبة الاجتهاد بالرجوع اليه في فروع الدين يشترط فيه امور كثيرة منها : البلوغ والعقل والذكورة والايمان وطهارة المولد والحرية والحفظ والضبط بأن لا يكون كثير السهو والنسيان

والحياة في الجملة فلا يجوز تقليد الميت ابتداء في الواجبات والمحرمات على الاقوى المشهور بين المتأخرين ويجوز البقاء على تقليده فيها على الاقوى المشهور

في عدم جواز تقليد الميت ابتداءاً

واما المكروهات والمستحبات والمباحات فيجوز تقليد الميت فيها ابتداءاً على الأقوى للسيرة الجارية فيها على العمل بقول الميت بيان ذلك بنحو الاجمال هو انه لا يجوز تقليد الميت ابتداءاً في الواجبات والمحرمات لأن الأدلة الاربعة تدل على عدم جواز العمل بغير العلم خرج عنها فتوى الحي وبقي الباقي وبعبارة اخرى ان الاصل المستفاد من الأدلة الأربعة هو عدم جواز تقليد الميت من جهة انه بعد ان علم المكلف اجمالا باشتغال ذمته بالتكليف يتعين عليه تقليد الحي حيث انه إذا قلد الحي يقطع ببراءة ذمته ولكن إذا قلد الميت يشك في حصول البراءة فيتعين عليه تقليد الحي .

إن قلت : مقتضى الاصل يكون جواز تقليد الميت ابتداءاً بيان ذلك ان المجتهد كان جائز التقليد في زمان حياته وبعد موته يشك في جواز تقليده بملاحظة تغير حالة من حالاته من تبدل حياته الى الموت فبمقتضى الأصل يحكم بجوازه بعد موته ويقال انه كان جائز التقليد في زمان حياته فالآن باق على تلك الصفة حيث ان الجسمية الشخصية التي تكون من احوال الصورة النوعية لا تكون موضوع الاحكام حتى يكون تبدل شخص الجسم مانعاً عن اجراء الاصل بل الموضوع وما يكون الاحكام مترتبة عليه لا يكون إلا الجسمية النوعية ومن الواضح ان الجسمية النوعية تكون باقية وبعبارة اخرى جواز التقليد يكون من الاحكام والاحكام تكون من قبيل الاعراض تحتاج الى الموضوع والمحل والموضوع لجواز التقليد اما ان يكون هو الراي والاعتقاد فلا إشكال في صحة استصحاب الجواز حيث ان موضوعه عبارة عن الراي

فيما يورد على عدم جواز تقليد الميت ابتداءاً والجواب عنه

والاعتقاد ومحل الراي والاعتقاد يكون هو النفس الناطقة ولا إشكال في بقائها او يكون موضوع الجواز هو شخص الميت وشخص جسمه فيصح ايضاً استصحاب الجواز لان موضوع الاحكام عبارة عن الصور النوعية لا الشخصية ولا إشكال في بقائها ومحل هذا الموضوع ايضاً يكون عبارة عن النفس الناطقة فلا إشكال في صحة استصحاب الجواز اعم من ان يكون موضوعه راي الميت واعتقاده او شخصه .

قلت : إذا فرضنا ان العامي الذي لم يدرك زمان حياة المجتهد واراد ان يقلده بعد موته لا يكون استصحاب الجواز جارياً في هذه الصورة حيث لا يكون في البين متيقن سابق للعامي الذي اراد التقليد لعدم كون جواز التقليد ثابتاً له في السابق فكيف يحكم بالجواز بلحاظ الأصل وعمدة النزاع في جواز تقليد الميت ابتداءاً وعدم جوازه يكون في هذه الصورة والأصل لا يجري فيها لعدم المتيقن السابق حيث أن جواز تقليد المجتهد لم يكن متيقناً للعامي الذي أراد أن يقلده، وواضح انه يكون من أركان جريان الاستصحاب المتيقن السابق فاذا اختل ذلك لا معنى لجريانه وهذا الركن غير متحقق في المقام فلا يجوز تقليد الميت ابتداءاً في الواجبات والمحرمات على الأقوى المشهور بين المتأخرين ويجوز البقاء على تقليده فيها على الأقوى المشهور .

في جواز البقاء على تقليد الميت

(أولا) لاطلاق آيتي النفر والسؤال حيث أن مقتضى اطلاق فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ، هو بقاء الحكم المقلد فيه في حق المقلد مطلقاً أعم من أن يكون المنذر حياً أولا وتقييدها بزمان حياة المفتي يكون خلاف الظاهر كما أن مقتضى اطلاق (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) هو الاعتماد

والتعويل على قول أهل الذكر من غير فرق بين بقائهم بعد الاعتماد على قولهم وعدمه وتقييدها بزمان الحياة ركيك .

(وثانيا) لاستصحاب جواز تقليده .

فيما يرد على جواز البقاء على تقليد الميت والجواب عنه

إن قلت : استصحاب جواز تقليده غير جار من جهة انه لا يكون الشك في المقام في حدوث المانع بل يكون الشك في مانعية الحادث بيان ذلك انه لا يصح استصحاب جواز تقليده وحجية قوله من جهة ان الشك اذا كان في حدوث المانع مثل انه علم ان النوم ناقض للوضوء فاذا شك في وقوعه يكون أصل عدم وقوعه جاريا ولكن إذا شك في مانعية الحادث مثل خروج الوذي أي الماء الخارج عقيب انزال المني ، أو المذي أي الماء الرقيق الخارج عند الملاعبة والتقبيل والنظر بلا دفع وفتور بعد الطهارة وشك في أن خروج ذلك ناقض للطهارة أم لا فاصل عدم كون الوذي ناقضا لا يكون جاريا لانتقاض اليقين باليقين والمقام يكون من هذا القبيل فيصير قول المجتهد بالموت مشكوك الحجية واللا حجية وبعبارة اخرى يكون المقام من قبيل الشك في الموضوع والمقتضى لا المانع لعدم العلم بافتضاء الحجية في قول المجتهد بعد موته فلا يجري أصل جواز التقليد .

قلت : الاشكال في جريان أصل جواز التقليد مدخول حيث أن المقام يكون من قبيل القسم الثالث من الاستصحاب الكلي من جهة انه بعد الموت يشك في أن المجتهد الذي كان تقليده جائزاً وكان قوله معتبراً هل الجواز والاعتبار باق أم لا بملاحظة الشك في ان الموت صار موجباً لجهله أو صار موجباً وعلة لازدياد فهمه وعلمه وانكشاف الواقعيات لديه أو لم يتبدل حاله ولا يكون الموت موجباً لتغير مدرك اجتهاده بل استنباطه واجتهاده باق

على ما كان ولكن كون الموت موجباً لجهله باطل ، فيدور الأمر بين كونه موجباً لازدياد علمه وبين عدم كونه موجباً لذلك بل يكون باقياً على ما كان فاستصحاب جواز تقليده واعتبار قوله يكون جارياً فلا يكون المقام من قبيل الشك في الموضوع والمقتضى بل يكون من قبيل الشك في الرافع وإن الموت مانع عن جواز تقليده واعتبار قوله أو لا يكون مانعاً عن جواز تقليده وحجية فتواه وبعبارة أخرى لم ينتقض اليقين باليقين لأن الشك في مانعية الحادث راجع الى الشك في وجود المانع حيث ان انتقاض اليقين باليقين يكون فيما إذا حصل اليقين بالخلاف وليس المقام كذلك لأن مانعية الحادث مشكوكة فيكون الشك في ارتفاع المتيقن فيكون كالشك في وجود المانع فاستصحاب جواز تقليده واعتبار قوله يكون جارياً حيث ان الموضوع يكون باقياً غاية الأمر أما أن يكون باقياً على ما كان في هذا العالم أو انكشفت لديه الواقعيات بواسطة الموت بل لا نحتاج في المقام الى الأصل من جهة أنا نحتاج اليه في فرض الشك وفي المقام لا شك لنا في الموضوع لبقائه بل صار الموضوع بالموت أصفى من الأول فان الواقعيات انكشفت له بذلك كما تدل على ذلك طائفة من الأخبار والآيات .

أما الأخبار فمنها : خبر حبة العرني قال : خرجت مع أمير المؤمنين صلوات الله عليه الى الظهر فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى أعييت ثم جلست حتى ملت ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولا ثم جلست حتى ملت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ثم طرحت الرداء ليجلس عليه ، فقال لي يا حبة : ان هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسة قال : قلت

يا أمير المؤمنين وانهم لكذلك ؟ قال نعم : ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون فقلت أجسام أم أرواح ؟ فقال : أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه إلحقي بوادي السلام وإنها لبقعة من جنة عدن .

وأما الآيات فمنها : قوله تعالى في سورة الاسراء : ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا ﴾ . وقد روى الطبرسي في مجمع البيان عن الامام الصادق عليه السلام في هذه الآية قال : يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا : يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ومنها قوله تعالى في سورة ق : ﴿ فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ﴾ يعني الحاجب لامور المعاد يكون هو الغفلة والانهماك في المحسوسات والألف بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار .

فيما يورد على جواز البقاء على تقليد الميت والجواب عنه

إن قلت : إذا لم يجز البقاء على تقليد الحي بعد زوال الرأي بسبب الهرم أو المرض أو الجنون اجماعا لم يجز البقاء على تقليد الميت بنحو أولى قطعاً حيث أن عروضها يكون لاختلال بعض القوى فاذا كان ذلك موجباً لزوال الرأي الموجب لعدم جواز البقاء فالموت الذي يختل به جميع القوى يوجب زوال الرأي الموجب لعدم جواز البقاء بالأولوية القطعية .

قلت : التمسك بالاجماع المنقول في المقام غير صحيح .

(أولا) من جهة انه على فرض اعتباره يكون معتبراً في الأحكام وجواز البقاء على تقليد الميت وعدمه مسألة اصولية .

(وثانياً) مدركه عبارة عما تقدم من عدم جواز تقليد الميت ابتداء من أصل الاشتغال ولا أقل من الاحتمال .

(وثالثاً) الأولوية ممنوعة حيث لم يعلم ملاك عدم الجواز في الموارد المزبورة حتى يتعدى الى الميت .

(ورابعاً) لا معنى لقياس المقام على تلك الموارد من جهة أن قياس المقام وهو الشك في زوال الرأي بالموت بالموارد المزبورة يكون مع الفارق حتى بناء على تجرد النفس مع كونها متعلقة بالبدن حيث نقطع فيها بزوال الرأي بواسطة عدم ادراك النفس اما من جهة طرو الضعف في القوى الجزئية لها كما في مورد الهرم والمرض أو من جهة طرو فساد في القوى الجزئية لها كما في مورد الجنون الطارىء دون المقام لعدم زوال الرأي فيه وقيامه بالنفس .

(وخامساً) ان الملاك في عدم جواز البقاء في الهرم والمرض والجنون إن كان زوال الرأي فالحق فيها وفي الموت عدم زوال الرأي فان الادراكات باقية في محالها والنفس بسبب اشتغالها بتدبير البدن أو التوجه الى نشأة أخرى لا يمكن لها ترتيب الأثر عليها كما انها كذلك في حال النوم فمجرد عدم القدرة على ترتيب الأثر لا يكون دليلا على زوال المدركات حيث يستحيل بحسب الحكمة الالهية والعناية الربانية أن تزول العلوم والمعارف الحاصلة للانسان في مدة مديدة من العمر بعد أتعاب شديد ومجاهدات عظيمة في مقام تقوية القوة النظرية وتحصيل الملكات والأخلاق الفاضلة بمجرد الهرم أو المرض والجنون في آخر العمر او بسبب الموت مع أن الدنيا مزرعة الآخرة والمعرفة بذر المشاهدة بل الصحيح ان علاقة النفس مع البدن حجاب قوي ومانع شديد ، فاذا زال المانع وارتفع الحجاب كانت العلوم كلها حاضرة عنده مشهودة لديه

نعم تزول الملكات والادراكات بسبب الانهماك في الشهوات والتوجه الى ما يضادها ، وإن كان الملاك لعدم جواز البقاء في الهرم والمرض والجنون عدم التمكن من أعمال القوة النظرية فلا يقدر بالفعل على رد الفرع الى أصله وهو معنى زوال ملكة الاجتهاد فمن البين بعد التأمل ان هذا الوجه مختص بالهرم والمرض والجنون ولا يعم الموت لأن انقطاع علاقة النفس عن البدن وارتفاع الشواغل المانعة عن القدرة الفعلية يوجب كون النفس أقدر على رد الفرع الى أصله من حال حياته لتجردها ولكنها تدرك الكليات ولا يكون من شأنها ادراك الجزئيات إلا بتوسيط القوى الجزئية فلا يكفي تجرد النفس فقط في المقام بل لابد من الالتزام بتجرد قوتي الخيال والوهم ايضاً من جهة ان آراء المجتهد وإن فرضت كلية قابلة للقيام بالنفس إلا ان تلك الآراء غالباً منبعثة عن مدارك جزئية من آية خاصة أو رواية مخصوصة لا قيام لها إلا بغير القوة العاقلة فادراك النفس تلك الآراء وقيامها بالمجتهد يكون بتوسيط القوى الجزئية ولا تكون تلك الآراء حجة إلا إذا كانت مستندة الى تلك المدارك من حيث البقاء كما كانت مستندة اليها من حيث الحدوث فكما ان تلك الآراء تزول بزوال مداركها حال الحياة كذلك تزول بزوالها بعد الوفاة إن لم نقل بتجرد قوتي الخيال والوهم المدركتين للصور والمعاني الجزئية فلا بد من الالتزام بتجردهما وإن كان المعروف عند أهل المعقول خلاف ذلك ولكن الحق تجردهما أما الخيال فانه لو كان جسمانياً لزم فيما إذا تخيل الانسان امراً عظيماً من شجر أو جبل وأمثالها انطباع العظيم في الصغير وهو ممتنع وأما الوهم فتجرده أظهر لأن المعاني أتم تجرداً من الصور وبالجملة يجوز البقاء على التقليد لبقاء الموضوع وهو النفس وانكشاف الواقعيات بالموت بل صار الموضوع

اصفى من حال الحياة لزوال المانع للابصار كما تقدم آنفاً .

إن قلت : إن الاعتقاد الحاصل بالكشف والشهود من الموت لا دليل على حجيته على المقلد فيدور الأمر بين ما هو زائل أو باق غير حجة .

قلت : إن الاعتقاد الحاصل بالكشف والشهود الذي لا دليل على حجيته لغير صاحبه هو الذي يحتمل فيه الخطاء على صاحبه كما في الحاصل لبعض المرتاضين لا الحاصل بالموت فالامر دائر بين بقاء رايه واعتقاده بنحو موافق للواقع جزما بحيث لا شك فيه وبين زواله رأساً مع القطع ببقاء القوة المدركة .

ثم انه قد ظهر مما ذكر ان جواز البقاء على تقليد المجتهد في حال حياته واجتهاده الفعلي بحيث يحتاج الى النظر الجديد وفي حال الاغماء مما لا إشكال فيه لبقاء الرأي فيهما عرفا اما الاول فواضح وكذا الثاني حيث انه يكون كحال النوم فيتعين عليه فيهما البقاء ثم انه هل يكون الجواز في جواز البقاء على تقليد الميت بمعنى الرخصة او الوجوب والعزيمة فنقول بحسب الادلة الاولية يكون بمعنى الوجوب والعزيمة فيتعين عليه البقاء ولهذا التعين فرضان :

في ان الجواز في جواز البقاء على تقليد الميت يكون بالمعنى الرخصة أو العزيمة

(الاول) ان يكون عند العامي مجتهدان متساويان من حيث العلم والعدالة والحكم المستفاد له حينئذ من الادلة الاولية يكون هو التخيير بين الاخذ والرجوع الى قول كل واحد منهما فاذا اختار احدهما وعمل بقوله ثم مات ذلك المجتهد الذي قلده يتعين عليه البقاء على تقليده .

إن قلت : يستصحب التخيير ويرجع الى المجتهد الحي .

قلت : لا يصح استصحاب التخيير للرجوع الى المجتهد الحي حيث ان الاستصحاب يكون في ظرف التحير وقد ارتفع التحير بالاختيار فلاموضوع

للاستصحاب .

(الثاني) ان يكون المجتهد المتصف بالشرائط منحصراً عند العامي بفرد واحد وقلده بواسطة تعين تقليده ثم مات ذاك المجتهد وبلغ بعد موته شخص آخر بمرتبة الاجتهاد وكان متصفاً بالشرائط حيث أن جواز رجوعه حينئذ الى المجتهد الحي يحتاج الى الدليل وذلك من جهة ان الدليل الذي يكون دالا على وجوب تقليد الاول يكون دالا على تعين تقليده والبقاء عليه ولا يمكن ان يكون ذلك الدليل بعد موت الاول دليلا على جواز رجوعه الى الحي للزوم استعمال لفظ واحد في استعمال واحد في اكثر من معنى واحد أي التعيين والتخيير وهو محال لاستحالة صيرورة لفظ واحد في استعمال واحد فانياً في معنيين فيتعين ايضاً عليه البقاء .

وأما بحسب القواعد الثانوية فلابد من ملاحظة ان لسان الاخبار الناهية عن نقض اليقين بالشك يكون هو المولوية اولا فنقول جواز البقاء على تقليد الميت وعدم جواز رفع اليد عنه يكون لرفع توهم وجوب تقليد الحي والرجوع اليه وإن كان الظاهر من الاخبار الناهية عن نقض اليقين بالشك هو المولوية .

إن قلت : استظهار المولوية من الاخبار الناهية عن نقض اليقين بالشك منقوض بموارد الغسل والوضوء والتيمم حيث انه إذا اغتسل المكلف اوتوضأ او تيمم ثم شك في ارتفاع الغسل او الوضوء او التيمم يكون استصحاب البقاء بالاضافة الى كل واحد منها جاريا ومع ذلك قالوا بأنه يجوز له الغسل والوضوء والتيمم بعد إجراء الاصل فكيف يكون الظاهر منها المولوية وحرمة النقض ووجوب الابقاء .

قلت : النهي الوارد في تلك الموارد الدال على عدم جواز النقض يكون من قبيل النهي الوارد لعقيب توهم الوجوب حيث ان المكلف بعد الشك في ارتفاع الغسل أو الوضوء أو التيمم يتوهم ان الحكم حينئذ يكون وجوب الغسل أو الوضوء أو التيمم وقد ورد النهي في تلك الموارد لرفع هذا التوهم والمقام يكون من قبيل تلك الموارد وإن كان لسان الأخبار الناهية هو المولوية فاستصحاب جواز تقليده وعدم جواز رفع اليد عنه يكون لرفع توهم وجوب تقليد الحي والرجوع اليه ، فالأصل الجاري في جواز البقاء على تقليد الميت لا يثبت أزيد من الرخصة . فموارد الاستصحاب مختلفة في بعضها يكون النهي عن النقض بعنوان المولوية فيما لم يكن عقيب التوهم مثل استصحاب حياة زيد مثلا لترتب وجوب نفقة زوجته وحرمة تزويجها بغيره وأمثال ذلك ، وفي بعضها الآخر يكون لأجل الرخصة ورفع التوهم كالموارد المزبورة ، وهذا المقام والعمدة من الشرائط العدالة أي الاتيان بالواجبات وترك المحرمات كما يدل على ذلك ما رواه أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن تفسير العسكري عن الصادق سلام الله عليهما في قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم الا يظنون ﴾ . فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه ، وذلك لا يكون إلا في بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم ، فان من ركب من القبايح والفواحش فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً ولا كرامة ، وكما يدل على ذلك أيضاً ما في الاحتجاج وتفسير العسكري عن الرضا عليهما السلام إنه قال : قال علي بن الحسين سلام الله عليهما : إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتماوت في منطقه وتخاضع في حركاته

في اشتراط العدالة في المفتي

فرويداً لا يغرنكم ، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف بنيته ومهانته وجبن قلبه فنصب الدين فخاً لها ، فهو لا يزال يحيل الناس بظاهره ، فان تمكن من حرام اقتحمه الى أن قال : ولكن الرجل كل الرجل ، نعم الرجل هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله وقواه مبذولة في رضى الله يرى الذل مع الحق أقرب الى عز الأبد من العز في الباطل الى أن قال : فذلكم الرجل نعم الرجل فبه فتمسكوا ، وبسنته فاقتدوا ، والى ربكم فيه فتوسلوا ، فانه لا يرد له دعوة ، ولا يخيب له طلبة انتهى . فوله « ع » : قد حسن سمته وهديه ، والسمت عبارة عن الحالة التي يكون عليها الانسان من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المنظر والهيئة . قال ابن الأثير في النهاية : ومنه السمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة . ويقال فلان حسن السمت والهدي أي حسن المذهب في الأمور كلها انتهى . حيث أن الظاهر من هذين الخبرين الشريفين هو اشتراط العدالة فيمن يؤخذ عنه العلم ويقتدى به في الأحكام الدينية .

في اشتراط ملكة الاجتهاد المطلق والأعلمية في المفتي

وملكة الاجتهاد المطلق فلا يجوز تقليد المتجزي والأعلمية واحرازاقوائية الملكة فلا يجوز تقليد المفضول مع التمكن من الفاضل لأن تقليد الفاضل والرجوع اليه مبرء للذمة قطعاً ويشك في بره الذمة بتقليد المفضول حيث ان الأمر دائر بين التعيين والتخيير فيتعين تقليد الفاضل ولا يصح دفع التعيين بالبراءة لأن الدوران بين التعيين والتخيير في المقام عقلي ليس بشرعي ، وقد ذكرنا تفصيل شرائط المفتي في شرحنا على كتاب كفاية الاصول لآية الله الآخوند ملا محمد كاظم الخراساني قدس سره نرجو من الله تعالى أن يهيء أسباب طبعه .

ثم انه قبل بيان طرق اثبات العدالة والاجتهاد والأعلمية ، نذكر

مقدمة وهي انه هل وجوب رجوع العامي الى الأعلم يكون من الواجب المشروط حتى لا يجب عليه الفحص عنه بل يجب عليه تقليده إذا اتفق له عرفانه أو وجوب رجوعه اليه يكون من الواجب المطلق حتى يجب عليه الفحص والتحقيق عنه الظاهر من كلام آية الله السيد محمد كاظم اليزدي قدس سره في العروة الوثقى هو الثاني حيث قال : يجب تقليد الأعلم مع الامكان على الأحوط ويجب الفحص عنه انتهى . إذا علم ذلك فاعلم ان طرقات اثبات العدالة والاجتهاد والأعلمية كثيرة ، أما العدالة فملكة الاتيان بالواجبات وترك المحرمات فتثبت بطرقات :

في طرق اثبات العدالة والاجتهاد والاعلمية

(أحدها) وهو أحسنها تحصيل العلم بذلك بنفسه من دون توسيط واسطة في البين بكثرة معاشرته حتى يحصل العلم بحصول تلك الملكة له .

(ثانيها) الشياع الموجب للعلم .

(ثالثها) شهادة العدلين وأما الاجتهاد والاعلمية فتثبت أيضاً بطرقات:

﴿ أحدها ﴾ وهو أتقنها تحصيل العلم بذلك بنفسه من دون توسيط واسطة إن كانت له أهلية وممارسة في المطالب الفقهية بمناظرته والحضور في درسه .

﴿ ثانيها ﴾ الشياع الموجب للعلم عند أهل العلم القابلين لتميز ذلك وإلا فالشياع عند العوام لا عبرة به بل لابد من التحقيق فيه بنحو يكون أخبار أهل العلم مستنداً الى وقوفهم على ذلك بالمراجعة والمناظرة معه أو الحضور في درسه وإلا فرب شياع ينتهي الى اخبار واحد بل يكون ذلك الواحد أخبر به على سبيل الاحتمال فاخبر به الآخر عنه على سبيل الجزم .

﴿ ثالثها ﴾ شهادة مجتهدين عدلين باجتهاده وأعلميته .

(رابعها) يثبت اجتهاده وأعلميته بملاحظة مؤلفاته العلمية الكاشفة عن الاجتهاد والاعلمية وذلك من جهة غلبة الفساد على الصلاح في هذا الزمان واستيلاء المطامع والاغراض ورواج الدعايات الكاذبة والدعاء المستأجرين وبساطة العوام وسلامة نفوس الكثير منهم فيحرز المجتهد الذي يتعين الرجوع اليه بالنظر الى مؤلفاته العلمية الكاشفة عن الاجتهاد والاعلمية وهذه هي السيرة والعادة المتبعة عند الامامية من زمن الائمة عليهم السلام إلى عصر أساتيذنا رضوان الله عليهم حيث كانت المرجعية والزعامة الدينية عند الطبقة الاولى في زمن الصدوق قدس سره الصدرق ، ثم الكليني ، والشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، والشيخ الطوسي ، وابن حمزة ، وابن ادريس بملاحظة مؤلفاتهم العلمية الشريفة النافعة في أصول الدين وفروعه الكاشفة عن الاجتهاد والاعلمية في أصول الدين وفروعه وعند الطبقة الوسطى للمحقق والعلامة والشهيدين وعند الطبقة الاخيرة للمحقق المقدس الاردبيلي والمحقق السبزواري والشيخ الحر العاملي والفيض الكاشاني والعلامة المجلسي والآغا باقر البهبهاني والمحقق القمي والسيد مهدي الطباطبائي والسيد علي صاحب الرياض والشيخ جعفر الكبير وصاحب الجواهر والشيخ مرتضى الانصاري والآخوند ملا محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي قدس الله أسرارهم من جهة مؤلفاتهم العلمية في أصول الدين وفروعه الكاشفة عن الاجتهاد والاعلمية ، ويدل على ذلك ما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن علي بن حنظلة قال سمعت أبا عبد الله « ع » يقول : اعرفوا منازل الناس على قدر رواياتهم عنا انتهى . يعني على مقدار رواياتهم عنا كثرة وقلة أما اليوم وفي هذا العصر التعيس المنكب فقد انعكست القضية وضاعت الموازين وفي القلب شيء

لا يصح إبرازه وإظهاره من الوجود الذهني إلى الوجود الكتبي صيانة لجهات وهل يناسب ويجوز أن يفعلوا كذا وكذا الخ ، بالنسبة إلى شخص يثبت أصول دين الاسلام وفروعه بالبرهان وقادر بعون الله تعالى على دفع كل شبهة تورد على دين الاسلام ولنعم ما قيل :

بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم الخلق يحكيه

والى الله المشتكى انا لله وأنا اليه راجعون .

في شطر من علم الاخلاق

﴿ الفائدة الثانية ﴾ في حسن الخلق اعلم ان مبادى الافعال لا يخلو إما أن تكون الحال أو الملكة أو العصمة والحال عبارة عن تحصيل قوة يمكن زوالها على نحو السهولة والملكة عبارة عن تحصيل قوة يمكن زوالها ولكن على وجه الصعوبة والعصمة عبارة عن وجود قوة في النبي والوصي أما بنحو التحصيل أو التكوين كما مر بحيث لا يمكن زوالها وماهية حسن الخلق عبارة عن ملكة وكيفية نفسانية تصدر عنها الافعال بسهولة وبعبارة أخرى ان الخلق عبارة عن المرور في الفعل على عادة فالخلق الكريم الصبر على الحق وسعة البذل وتدبير الامور على مقتضى العقل وفي ذلك الرفق والاناة والحلم والمداراة وتحمل المكاره في الدعاء الى الله سبحانه والتجاوز والعفو وبذل الجهد في نصرة المؤمنين وترك الحسد والحرص وقبل الشروع في المقصد لابد من بيان مقدمة وهي ان شرافة علم الاخلاق لشرافة موضوعه وغايته لان موضوعه عبارة عن النفس الناطقة التي هي حقيقة الانسان الذي هو اشرف أنواع الكونية وغايته اكماله وإيصاله الى أفق الملائكة ولا يكمل الانسان إلا بتحصيل القوة والحكمة النظرية من الاحاطة بحقائق موجودات الباري تعالى ومعرفتها وتحصيل القوة والحكمة العملية من المعرفة بموجودات النفس وأفعالها التي يسمى بعلم الاخلاق أي التخلي

في الحكمة النظرية و العملية

عن الصفات الرذيلة والتحلي بالصفات الحميدة التي أشار اليها سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ . فالصفات الردية مانعة عن حصول الصفات المرضية فما لم تحصل تخلية النفس عن الصفات المذمومة من الكبر والحسد والرياء وارادة السوء وغير ذلك لم تحصل التحلية ولم تستعد النفس للفيوضات القدسية والمعارف الالهية حيث ان المرآة ما لم تذهب الكدورات عنها لم تستعد لارتسام الصور فيها وقد مر في التبري والتولي ما ينفع في المقام فليراجع إذا علم ذلك فنقول بنحو الاختصار : إن سجية الانسان بحسب طبعه الاولى بمقتضى القوة الحيوانية على الوحشية والهمجية والاطلاق وعدم القيد . قال الله تعالى في مقام الحكاية عن مقالة يوسف عليه السلام : ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ . يعني النفس بالطبع مايلة إلى الشهوات إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك . قال فخر الدين الطريحي قدس سره في الحديث : قلوب الرجال وحشية . وروى عبد الله بن سنان عن الامام الصادق « ع » قال : فقلت الملائكة أفضل أم بنو آدم ؟ فقال قال : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب « ع » : إن الله عز وجل ركب (١) في الملائكة عقلا بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كلتيهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم انتهى . ولذا يكون الغرض والغاية من بعث الله تعالى الأنبياء عليهم السلام الى الخلق قلب سجيتهم الأولية الى سجية ثانوية وتغليب قوتهم العقلية على القوة الحيوانية وسوقهم من عالم الوحشية والهمجية الى عالم الانس والانسانية وعرفان الله تعالى والتدين بالدين

في الغرض من بعث الله تعالى الانبياء عليهم السلام الى الخلق

(١) قوله « ع » ركب بمعنى جعل .

والتربية بالآداب الحسنة والأخلاق الفاضلة قال الله تبارك وتعالى في سورة الفتح في بيان أوصاف أصحاب النبي (ص) : ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ الآية ، حيث ان اصحابه (ص) كانوا يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم . وقال الله تعالى في سورة الحجرات : ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ الآية . حيث جعل الله تعالى الاخوة بين المؤمنين لاشتراكهم وانتسابهم الى الايمان الموجب للحياة الأبدية . وقد روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن الامام الصادق « ع » قال المؤمن أخ المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يعيبه ولا يعده عدة فيخلفه وقد دعا نبينا خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله الخلق الى التوحيد والآداب الحميدة . والأخلاق الفاضلة وكابد وتحمل من قومه من الشدائد والمصائب والمشاق والأذية ما لا يتحمله غيره حتى قال : ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت ، ولذا قد وصفه الله تعالى في سورة ن بقوله : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ . روي انه كان خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تضمنه العشر الأول من سورة المؤمنين ومن مدحه الله سبحانه بأنه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح انتهى . والعشر الأول من سورة المؤمنين هي : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ . وقد روى محمد بن يعقوب الكليني قدس سره في الكافي عن الامام الصادق (ع) ان

الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه فلما ان أكمل له الأدب قال : إنك لعلى خلق عظيم . وروى محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات ان الله أدب نبيه فأحسن تأديبه فقال خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فلما كان ذلك أنزل الله إنك لعلى خلق عظيم . وقد ورد عن النبي (ص) انه قال : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق . وروى انه سئل النبي (ص) أي الأعمال أفضل ؟ قال : حسن الخلق . وروى العلامة الحلي قدس سره في وصيته لابنه في كتاب القواعد عن النبي (ص) انه قال : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم . وروى الصدوق قدس سره عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام عن النبي (ص) انه قال : عليكم بحسن الخلق فان حسن الخلق في الجنة لا محالة . وروى الصدوق عن علي بن موسى الرضا (ع) عن النبي (ص) انه قال : لو علم الرجل ماله في حسن الخلق لعلم انه لمحتاج الى حسن الخلق فان حسن الخلق يذيب الذنوب كما يذيب الماء الملح . وروى الصدوق قدس سره عن علي بن موسى الرضا (ع) انه قال : حدثني أبي عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن النبي (ص) إنه قال : أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . قال فخر الدين الطريحي قدس سره في الحديث : خير ما ورث الآباء لابنائهم الادب . وقال في الحديث : كان علي (ع) يؤدب أصحابه يعني يعلمهم العلم ومحاسن الاخلاق انتهى . فسوق البشر الى الوحشية والهمجية معاذاً بالله ضد لغرض بعث الله تعالى الانبياء عليهم السلام الى الخلق ومبغوض لله تبارك وتعالى ومن الوحشية والهمجية ايذاء المسلم وسبه وشتمه والحال ان الظلم وايذاء المؤمن يكون من المعاصي الكبيرة . فقد روى الصدوق قدس سره

عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : من اذى مؤمناً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فهو ملعون (١) في التوراة والانجيل والزبور والفرقان . وروى الصدوق قدس سره عن النبي « ص » انه قال : من آحزن مؤمناً ثم أعطى الدنيا لم يكن ذلك كفارته ولم يؤجر عليه . وروى الصدوق عن النبي « ص » انه قال : إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة انتهى . ولنعم ما قيل :

ألم تعلم بأن الظلم عار ... جزاء الظلم عند الله نار
وللمظلوم دار في الجنان ... وللظلام في النيران دار

كما نعم ما قيل أيضاً :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم مقدرة تفضي الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

فاللازم على الحكماء ارشاد الناس الى حسن الخلق أي القواعد الاسلامية وعلم الشريعة ، والمعارف الدينية ، وتعليم الآداب الحسنة ، والأخلاق الحميدة والمواعظ الحكمية المانعة عن الجهل والهمجية ، والأفعال الوحشية .

وبالجملة فاللازم على الحكماء تعليم الناس العلم الالهي لعرفان اصول الدين وتعليم علم الفقه لمعرفة فروع الدين من كيفية العبادات والمعاملات ، وتعليم علم الأخلاق لعرفان منجيات النفس ومهلكاتها ، وكان السلف من الحكماء لا يطلقون العلم حقيقة إلا على علم الأخلاق ويسمونه بالاكسير الأعظم ، حيث انه يوصل أخس الموجودات الى أشرفها ويعرج به الانسان من حضيض البهيمية الى افق اللائكة حيث ان موضوع علم الأخلاق كما مر هو

(١) قوله « ص » ملعون : أي مطرود مبعد عن رحمة الله .

النفس الناطقة التي هي حقيقة الانسان الذي هو أشرف أنواع الكونية كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يعني كرمناهم بالنطق والعقل المدرك للماهيات الكلية والتمييز والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض وتسخير سائر الحيوانات والتمكن الى الصناعات الى غير ذلك مما لا يحصى وغايته إكماله ولكونه ذا عرض عريض لاتصال أوله بأفق البهائم ، وآخره بأفق الملائكة لا يكاد يوجد التفاوت الذي بين أفراد الانسان في أفراد سائر الأنواع فان فيه أخس الموجودات ومنه أشرف الكائنات ولنعم ما قال بعض المتألهين في المقام :

في اعادة اصول دين الاسلام واصول الايمان وفروع دين الاسلام بنحو الاختصار

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عد ألف بواحد

وهذا التفاوت من جهة الاختلاف في الأخلاق والصفات لاشتراك الكل في الجسمية ولواحقها فاللازم على الحكماء سوق الناس الى المعارف الدينية والأخلاق الفاضلة كما أن تعليم ذلك يكون من عادة الحكماء والعلماء قديما وحديثا أدلى الله مقام الماضين وشيد أركان الباقين بمحمد وآله الطاهرين .

﴿ الفائدة الثالثة ﴾ هي أن أكثر ما ذكر في هذا الكتاب لا يصل اليه أغلب الناس فنعيد ما ذكرنا بنحو الاختصار حتى يفهمه أغلبهم فنقول هذا المختصر مشتمل على اصول دين الاسلام واصول الايمان وفروع دين الاسلام :

واصول دين الاسلام ثلاثة على المشهور بين الأصحاب :

(الأول) معرفة الله سبحانه وتعالى يعني يجب على الانسان تحصيل الاعتقاد والاقرار بوحدانية إله العالم والاذعان بأنه واحد لا معبود سواه والتصديق بأنه منزه عن النقص جامع لصفات الكمال .

(الثاني) النبوة يعني يجب على الانسان الاعتقاد بحقية جميع الأنبياء عليهم السلام أولهم آدم وآخرهم خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله « ص » .

(الثالث) الاعتقاد بالمعاد الجسماني فاذا اعترف الانسان بوجود الاله العالم وأقر بتوحيده وتدرع بالشرع الذي جاء به محمد « ص » فهو مسلم من أي صنف كان ويجري عليه أحكام الاسلام من الطهارة وحل الذبيحة والتناكح والتوارث وعدم جواز القتل وغيرها من أحكام الاسلام لأخبار كثيرة متوانرة منها ما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن سماعة قال : قلت للامام الصادق « ع » إخبرني عن الاسلام والايمان أهما مختلفان ؟ فقال : إن الايمان يشارك الاسلام والاسلام لا يشارك الايمان . فقلت : فصفهما لي ؟ فقال : الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس والايمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام وما ظهر من العمل به والايمان أرفع من الاسلام بدرجة أن الايمان يشارك الاسلام في الظاهر والاسلام لا يشارك الايمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة انتهى .

قوله « ع » : وإن اجتمعا في القول والصفة يعني اجتمعا في الشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة فالنسبة بين الاسلام والايمان عموم وخصوص مطلق لاعمية الاسلام عن الايمان حيث ان المؤمن الذي يتولى الأئمة عليهم السلام مسلم مقر بالشهادتين وليس كل مسلم مقر بالشهادتين مؤمناً مواليا للائمة عليهم السلام فالاسلام عبارة عن الاقرار بالشهادتين ، والكفر عبارة عن عدم ذلك فتقابل الكفر مع الاسلام تقابل العدم والقنية .

واصول الايمان التي يكون الاعتقاد بها موجباً لصحة العمل والنجاة في

الآخرة بالفوز بالجنة والنجاة من النار اثنان :

(الأول) عدل البارى تعالى ، وانه لا يجوز عليه عز اسمه الظلم والاخلال بالواجب .

(الثاني) الامامة والاقرار بامامة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام وعصمتهم ووجوب طاعتهم لاخبار كثيرة متواترة منها ما رواه محمد بن يعقوب الكليني قدس سره عن القاسم الصيرفي قال : سمعت عن الامام الصادق «ع» يقول : الاسلام يحقن به الدم ، ويؤدى به الامانة ، ويستحل به الفرج ، والثواب على الايمان انتهى .

إن قلت : أداء امانة الكافر أيضاً واجب فلم خص بالمسلم ؟

قلت : إنما يجب أداء امانة الكافر إذا صار في حكم المسلم بالذمة

وأما فروع دين الاسلام فكثيرة والأهم منها عشرة : الصلاة والزكاة والصوم والخمس والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتبري والتولي ولا يصح التقليد في اصول الدين بل يجب تحصيل اصول الدين بالدليل حيث يعتبر العرفان في اصول الدين ولا يحصل المعرفة من التقليد ، وأما فروع الدين فيجب على العامي وغير البالغ رتبة الاجتهاد المطلق التقليد والعلماء كلهم أمناء وحفاظ الشريعة ولكن تقدم أنه يشترط امور فيمن يكون تكليف العامي بالرجوع اليه فكما يجب على الناس معرفة أئمتهم وإمام زمانهم عليهم السلام كذلك يجب عليهم السؤال والفحص عمن يكون تكليفهم بالرجوع اليه وفي الحديث النبوي ﴿ص﴾ جف القلم بما أنت لاق ، وفي كلام الله الشريف : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ .

﴿ الفائدة الرابعة ﴾ هي انه من أعظم النعم القلم قال الله تبارك وتعالى في سورة نَ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم نَ والقلم وما يسطرون ﴾ الآية والقلم الذي يكتب به أقسم الله به لكثرة انتفاع الخلق به إذ هو أحد لساني الانسان يؤدي عنه ما في جنانه ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه وبه تحفظ أحكام الدين وبه تستقيم امور العالمين . وقد قيل ان البيان بيانان بيان اللسان ، وبيان البنان . وبيان اللسان تدرسه الأعوام ، وبيان الأقلام باق مر الأيام . وقيل ان قوام امور الدين والدنيا بشيئين : القلم والسيف والسيف تحت القلم . روى الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي قدس سره في مجمع البيان عن الامام الباقر (ع) قال : نَ نهر في الجنة قال له الله كن مداداً فجمد وكان أبيض من اللبن وأحلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب فكتب القلم ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة . وروى علي بن ابراهيم قدس سره عن الامام الصادق (ع) قال : أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة انتهى . والمراد من الأول في هذا الخبر هو الأول النسبي الاضافي حيث ان أول ما خلق الله قبل الأشياء كما في الحديث النبوي هو العقل والنور المحمدي (ص) كما تقتضيه قاعدة الممكن الأشرف وألا يلزم تقديم المرجوح والأخس على الراجح والاشرف وتقديم المرجوح على الراجح محال من الله تبارك وتعالى فالشكر والحمد لله الذي علمنا من أعظم النعم وهو القلم الذي به يفهم أخبار الماضين من الأمم وعلمنا ما لم نعلم من أنواع الهدى والقرآن المعظم ، والبيان المستحكم ، والدين الأقوم ، والشرع الأفخم ، وبعد أن قعدت بالبيت قهراً وجبراً من ظلم بعض أهل الزمن وجهت وجهي الى مبدع النعم وائتمت بأول من خط بالقلم قيل هو آدم (ع)

اوافتديت بالمثلث (١) بالنعم بالبيان المقدم الذي يتم به امور العالم وينتظم به الحوائج وأساس عيش بني آدم نسأل الله تعالى أن يتفضل عليّ وعلى أولادي في هذه النشأة بالنعم ويفرج عنا الهم والغم بظهور وليه الأكرم صاحب العصر والزمن من قرية يقال لها كرعة كما جاء به الرواية (٢) من وادي بيته المكرم ويعفو عنا ويحشرنا في النشأة الأخرى مع الوجودات النورية والعلل الغائية لوجود العالم أئمتنا سادة العرب والعجم ، فيا رب تقبل مني هذا القليل من العمل بحق الاسم الأعظم والنور الأقدم خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .

اللهم اهدنا الى الصراط المستقيم وبعّد عنّا الشيطان الرجيم ووفقنا لتحصيل المعارف الالهية والأحكام الشرعية بمحمد وعترته الطاهرة وقد تم هذا المختصر بعون الله تعالى وحسن توفيقه على يد مؤلفه تراب أقدام المؤمنين محمد بن عبد الكريم القايني الأسدي المدعو بالفاضل عفى الله عن جرائمه منتصف ليلة الجمعة وهي الرابعة عشر من شهر جمادى الثانية من شهور سنة الثمانين بعد الألف والثلاثمائة هجرية في جوار الحضرة المقدسة العلوية على صاحبها ألف سلام وتحية وأسأل الله تعالى أن يجعله ذخراً لي ولوالدي يوم المعاد وأن يوفقنا المرشاد بمنه وكرمه والحمد لله وحده .

---

(١) والمثلث بالنعم : هو ادريس النبي «ع» وقد مر معنى المثلث بالنعم في ذكر المعمرين فراجع .

(٢) اشارة الى ما روى العلامة المجلسي قدس سره عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول (ص) : يخرج المهدي من قرية يقال لها كرعة انتهى . بينها وبين مكة نحو ثلاثين ميلا .

تبصرة لايخفى

إن مصنفات حضرة آية الله الشيخ محمد الفاضل القابني أدام الله ظله العالي في الفقه والاصول والحكمة كثيرة ، أما مصنفاته الخطية الفقهية فكتاب في الطهارة ، وكتاب في الصلاة ، وكتاب في المتاجر من البيع الى أحكام الربا ، وكتاب في الحج ، وكتاب في الوصية ، وكتاب في النكاح ، وكتاب في القضاء والشهادات ، ورسالة في الرضاع ، ورسالة في الارث ، وشرح استدلالي مختصر على العروة الوثقى لآية الله السيد محمد كاظم اليزدي قدس سره ، وشرح استدلالي مختصر على تبصرة آية الله على الاطلاق العلامة الحلي قدس سره . وأما مصنفاته الخطية الاصولية فشرح على كفاية الاصول لآية الله الآخوند ملا محمد كاظم الخراساني قدس سره في أربع مجلدات . وأما مصنفاته الخطية في الحكمة والمعارف الدينية فرسالة في اثبات المبدء تعالى وصفاته الجمالية والجلالية ورسالة في اثبات نبوة خاتم الانبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله من التوراة والانجيل وغيرهما ، ورسالة في اثبات المعاد الجسماني ، ورسالة في اثبات امامة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام ، ورسالة في عدالة الباري تعالى ، ورسالة في اثبات الاختيار ونفي الجبر والتفويض ، ورسالة في فلسفة وحكمة تشريع فروع الدين . وأما المطبوعة من مصنفاته فوجيزة في الاصول في مسألة الترتب طبعت في سنة خمسين وثلاثمائة بعد الالف من الهجرة النبوية ورسالة في الخمس والزكاة طبعت في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بعد الالف من الهجرة النبوية ، وحاشية فارسية على زاد المقلدين لآية الله الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء قدس سره ، وحاشية على تبصرة آية الله على الاطلاق العلامة الحلي قدس سره فلله تعالى دره وعليه سبحانه أجره وجزاه عن الاسلام والعلم وأهله خيرا.

طبع في النجف الاشرف في مطبعة الآداب في شهر جمادى الاولى في سنة ١٣٨١ هـ

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074488956
(NEC)
BP194
.Q256
1961